حَيَاةُ ٱلقُلُوبِ

تفسير كلام علّام الغيوب

سَعِيدُ بنُ مُصطَفَى ذِيَاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِيَ لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء الخامس عشر من تفسير: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ)، أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه، وأن يتقبله بفضله ومَنِّهِ وكرمه، وأن ييسر إتمامه.

وكتبه/ سعيد بن مصطفى محمد دياب

الدوحة في: ٣٠ جمادى الأولى/ ١٤٤٧هـ

الموافق/ ٢١/ ١١/ ٢٠٢٥م

---

١ – سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ – سورة النساء: الآية/ ١

٣ – سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

تفسير سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾.

سورة الإسراء مكية.

وتسمى سورة الإسراء لذكر الإسراء فيها، وتسمى: سورة بني إسرائيل لورود ذكر بني إسرائيل فيها، واشتهرت به بين الصحابة رضي الله عنهم؛ فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قال: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: «فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفِ وَمَرْيَمَ وَطه وَالْأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُنَّ مِنَ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي».[١]

عَنْ أَبِي لُبَابَةَ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يُفْطِرَ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: مَا يُرِيدُ أَنْ يَصُومَ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَرِ».[٢]

١ - رواه البخاري- كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم: ٤٩٩٤

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٤٣٨٨، والترمذي- أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٢٩٢٠، والنسائي في الكبرى- كتاب عمل اليوم والليلة، الفضل في قراءة تبارك الذي بيده الملك، حديث رقم: ١٠٤٨٠، وابن خزيمة- كتاب الصلاة «المختصر من المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم على الشرط الذي اشترطنا في كتاب الطهارة»، باب استحباب قراءة بني إسرائيل والزمر كل ليلة " استنانا بالنبي صلى الله عليه وسلم إن كان أبو لبابة هذا يجوز الاحتجاج بخبره فإني لا أعرفه بعدالة ولا جرح، حديث رقم: ١١٦٣، والحاكم- كتاب التفسير، ومن تفسير سورة الزُّمر، حديث رقم: ٣٦٦٧، بسند صحيح

بين يدي السورة:

افتتح الله تعالى سورة الإسراء بافتتاح فريد إشارة إلى تلك المعجزة التي حدثت للنبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهي معجزة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم العروج إلى السماوات العلى ثم الرجوع في نفس الليلة، ولما كان شأن الإسراء عجيبًا افتتح الله تعالى السورة بقوله: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ﴾.

وشأن سورة الإسراء كشأن غيرها من السور المكية التي نزلت تعالج مسائل العقيدة والبعث والنشور، والحساب والجزاء والجنة والنار، وقصص الأنبياء، والأمم الغابرة، وإثبات الوحي وهداية القرآن لأهل الإيمان.

وبدأ الله تعالى السورة بعد ذكر معجزة الإسراء بذكر قصة بني إسرائيل وما وقع منهم من طغيان وإفساد، ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً﴾ [الآية: ٤]، واشتملت السورة على وعيد لهم باستئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم، ﴿وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ [الآية: ١٠٤]، لذلك سميت بسورة بني إسرائيل.

ثم ذكر الله تعالى نزل القرآن العظيم وما يشتمل عليه من الهدى والبشارة للمؤمنين، وبيان ما أعده الله من العذاب الأليم لمن كفر بالله وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ [الآية: ٩].

ثم ذكر الله تعالى سنته التي لا تتخلف في عباده من إهلاك المكذبين المفسدين فقال: ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً﴾ [الآية: ١٦]، وفيها تعريض ببني إسرائيل الذي توعدهم الله بالإهلاك على كفرهم بالله وتكذيبهم لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وإفسادهم في الأرض، وأنها سنة لا تتخلف أبدًا.

بين يدي السورة:

ولما ذكر الله تعالى بني إسرائيل وما قدره عليهم الإهلاك لإفسادهم، عطف الله تعالى على ذكرهم ما قضاه تعالى على العباد عمومًا وأمره به أمرًا عامًا وهو توحيد تعالى وعدم الشرك به والإحسان إلى الوالدين

وصلة الأرحام فقال: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً.....﴾ [الآية/ ٢٣]، ثم أعقب ذلك بجملة من الأحكام كلها تندرج تحت قوله: ﴿وَقَضى رَبُّكَ﴾؛ يعني أمر أمرًا جازمًا فقال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيّاكُمْ......﴾ [الآية/ ٣١]، وذكر تعالى جملة من الأحكام والآداب التي يجب على العباد التزامها، ثم عقبها بقوله: ﴿كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ [الآية/ ٣٨]، وكما افتتح الله تعالى تلك الأحكام بالأمر بتوحيده ختمها بالنهي عن الشرك به، فقال: ﴿ذلِكَ مِمّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾ [الآية/ ٣٩]، ثم تمضي الآيات مقررة توحيد الله تعالى، وذم ما عليه المشركون من عقائد فاسدة، وأوهام باطلة عن الله تعالى وعن الملائكة والبعث والنشور، والرد على ما عندهم من شبهات، والرد على ما اقترحوه من آيات، ببيان أنها لا تزيد الكافرين إلا إعراضًا، بذكر بعض الأمم الغابرة وهم ثمود الذين آتاهم الله الناقة مبصرة فما زاده ذلك إلا كفرًا وطغيانًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنا ثَمُودَ النّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاّ تَخْوِيفاً﴾ [الآية/ ٥٩]، وما مثل قريش في إعراضهم وتكذيب لرسولهم محمد صلى الله عليه وسلم إلا كمثل ثمود الذين كذبوا رسولهم صالح عليه السلام وعقروا الناقة؛ كما قال تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْياناً كَبِيراً﴾ [الآية/ ٦٠]، ثم ذكر الله تعالى قصة خلق آدم عليه السلام، وكفر إبليس وعصيانه لأمر الله تعالى، وتوعده لبنى آدم بالغواية والإضلال؛ فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ [الآية/ ٦١]، ثم ذكر الله تعالى ولايته للمؤمنين وعصمته لهم من كيد الشيطان وحزبه؛ فقال: ﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَكَفى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الآية/ ٦٥]، ثم ذكر الله تعالى رحمته بعباده وعنايته بهم في سائر أحوالهم، ولطفهم بهم وإحسانهم إليهم، مع إعراضهم عنه تعالى، وشركهم به؛ فقال: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [الآية/ ٦٦].

ومع عنايته تعالى بعباده في سائر أحوالهم يعبدون غيره، ويدعونهم من دونه فإذا مسهم الضر في البحر ضلت عنهم أوثانهم وأخلصوا الدعاء لله تعالى، فإذا كشف الضر عنهم عادوا إلى شركهم وكفرهم بالله تعالى؛

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما قال تعالى: ﴿وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً﴾ [الآية/ ٦٦].

ثم بين الله تعالى حال هؤلاء المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرصهم على وأد الدعوة الإسلامية في مهدها، وسلوكهم كل سبيل لإطفاء نور الله تعالى، والصد عن سبيله فقال: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [الآية/ ٧٣]، حتى قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً........﴾ [الآية/ ٩٠]، فأمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالإقبال على طاعة ربه والإعراض عنهم؛ فقال: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ........﴾ [الآية/ ٧٧]، وقال الله تعالى له ردًّا على تعنتهم: ﴿قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً﴾ [الآية/ ٩٣]، ثم فند شبهتهم ورد على افترائهم بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾. الآية/ ٩٥، ثم ذكر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام وما أجابه فرعون تسلية لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأن له فيمن سبقه من المرسلين إسوة وأنه ما يقال له إلا كما قيل لهم، وأن العاقبة للمرسلين ومن آمن بهم، وأن الهلاك لمن ناوأهم وكذبهم؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً﴾ [الآية/ ١٠١].

ثم قال الله تعالى بعد إخباره عن هلاك فرعون وجنوده: ﴿وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ الآية/ ١٠٤، ليرد عجز السورة على صدرها في قوله: ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ [الآية/ ٧]، ليتحقق وعد الله تعالى بزوالهم، واستئصالهم، وكأن ما بين الآيتين جمل معترضة.

ثم أخبر الله تعالى عن الغاية من إنزال القرآن وبعثة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الآية/ ١٠٥]، ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر المشركين أنه تعالى متم نوره، فإن أعرضتم عن الإيمان، فقد اختار الله للإيمان من يعبدونه لا يشركون

به شيئًا؛ فقال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً﴾ [الآية/ ١٠٧].

ثم ختم السورة بأمره لرسوله صلى الله عليه بالحمد لله الذي له صفات الكمال فقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾ [الآية/ ١١١].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾.

﴿سُبْحانَ﴾، اسم وضع موضع المصدر، ونصب لوقوعه موقعه.

ويطلق هذا الاسم ويراد به التنزيه كما في قوله تعالى: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ﴾ [البقرة: ١١٦]،

ففيه عدول عن المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة، والعامل فيه الفعل الذي من معناه لا من لفظه؛ إذ لم يجئ من لفظه الفعل، فالتقدير: أنزه الله تنزيهًا، فوقع: ﴿سُبْحانَ﴾، مكان: تنزيهًا.

ويطلق ويراد به التعجيب من أمرٍ عظيم دالٍ على عظيم قدرة الله تعالى، وعلى رفعة شأن من وقع له ذلك الحدث، والعرب تسبِّح عند الأمر العجيب، وهو المراد هنا فإن شأن الإسراء عجيب جدًا وهو دليل على قدرة الله الباهرة، ورفعة منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى يعجِّب العباد مما أسدى إلى رسوله من تلك النعمة العظيمة.

ومما يدل على ورود التسبيح عند التعجب أو التعجيب من أمر من الأمور؛ قوله تعالى في شأن حادثة الإفك: ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهذا سُبْحانَكَ هَذَا بُهْتانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، وقد يطلق على الأمرين معًا التنزيه والتعجيب؛ كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْواجَ كُلَّها مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾.[١]

﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾.

الإسراء: هو السير ليلًا، وذكر الليل، لتأكيد الخبر وبيان أنه على الحقيقة، ونفي توهم المجاز؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾، دليل على أن الإسراء كان بالروح والجسد، فلا يطلق العبد إلا على مجموع الروح والجسد معًا، والعبدُ هو محمدٌ صلى الله عليه وسلم.

١ - سورة يس: الآية/ ٣٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا﴾.

في المراد بالمسجد الحرام قولان: أحدهما: أنه أُسري به من نفس المسجد، كما في حديث مالك بن صعصعة، وسيأتي ذكره، والثاني: أنه أُسري به من بيت أمّ هانئ، وهو قول أكثر المفسرين، وعلى هذا فالمراد بالمسجد الحرام هنا: الحرم. والحرم كلُّه مسجد.

والمسجد الأَقصَى هو مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لبُعد المسافة بين المسجدَين.

وقوله: ﴿الَّذِي بارَكْنا﴾؛ لأنه مقرُّ الأنبياء، ومَهبِطُ الملائكة، ولما في تلك البقعة من كثرةِ الماء والأشجار والأطعمة والثمار، والبركة: دُرور الخير وثبوته.

قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

أي: أَسْرينا به لنريه من عجائب الملَكوت من الآيات التي تدلُّ على عظيم قدرتنا، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلك طرفًا من تلك الآيات العجيبة، الدالة على قدرة الله الباهرة؛ كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.[1]

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنهما: «أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ، وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ، مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَقُلْتُ: لِلْجَارُودِ وَهْوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ فَقَالَ لَهُ الْجَارُودُ: هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ

---

١ – سورة النجم: الآية/ ١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ:

أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».[١]

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

أي: السميع لأقوال عباده، العليم الخبير بما هم عليه من الإيمان والكفر.

١ – رواه البخاري– كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، حديث رقم: ٣٨٨٧، ومسلم– كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم: ١٦٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً (٣)﴾.

لما ذكر تعالى كرامته لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالإسراء، عطف بذكر إكرامه لموسى عليه السلام بإنزال التوراة، وكثيرًا ما يقرن تعالى بين ذكر موسى ومحمد عليهما السلام، وبين ذكر التوراة والقرآن.

أي: وأعطينا موسى الكتاب يعني: التوراة وجعلناه هاديًا لبني إسرائيل، والواو عطفت جملة: ﴿آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ﴾، على جملة: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾، والكلام فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن الإفراد إلى الجمع.

﴿أَلاّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾.

﴿أَلاّ﴾ مكونة من (أن) و (لا) وأن هنا تفسيرية، وتقدير الكلام: وآتينا موسى الكتاب، وضمناه: لا تتخذوا من دوني وكيلًا، أي: لا تتخذوا من دوني إلهًا، ولا تتوكّلوا على غيري.

وقرأ أبو عمرو ﴿يَتَّخِذُوا﴾ بالغيب، فيكون المعنى: لئلا يتخذوا من دوني إلهًا.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾.

نصب على الاختصاص، أو النّداء؛ أي: يا ذريةَ قومِ نوحٍ، وفيه تذكير لبنى آدم بعظيم منة الله عليهم حين نجاهم من الغرق، وهي نعمة تستوجب الشكر، وتذكير لهم لتوحيد الله وأنه سبب نجاتهم.

﴿إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً﴾.

أي: كان كثير الشكر لله تعالى؛ عَنْ سَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ نُوحٌ عَبْدًا شَكُورًا لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا أَكَلَ وَشَرِبَ حَمِدَ اللهَ عز وجل».[1]

---

١ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ٥٤٢٠

وفي رواية عنه: قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ نُوحٌ عليه السلام عَبْدًا شَكُورًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَلْبَسْ جَدِيدًا، وَلَمْ يَأْكُلْ طَعَامًا إِلَّا حَمِدَ». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر

والشكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبَّةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة.[١]

والمعنى: فاقتدوا به واشكروا نعمة الله عليكم كما فعل نبي الله نوح عليه السلام.

١ - مدارج السالكين (٢/ ٥٨٩)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (٤) فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً (٨)﴾.

تقدم في سورة البقرة أن القضاء يطلق في القرآن ويراد به خمسة معانٍ: الخلق، والأمر، والحكم، والإخبار، والفراغ من الشيء، والمراد هنا الإخبار والإعلام؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله: ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ﴾. يقول: أعلمناهم.[١]

ومن القضاء بمعنى الإعلام قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، أي: أعلمناه به وأخبرناه بذلك.

وعدي الفعل قضى بـ(إلى)؛ لتضمنه معنى الإنزال؛ أي: أعلمناهم إعلامًا محكمًا منزلًا إليهم في التَّوراة.

فيكون المعنى: وأعلمنا بني إسرائيل بما أوحينا إليهم في الكتاب الذي أنزلناه على رسولهم فإن الإنزال والوحي إلى موسى إنزال ووحي إليهم.

﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾.

اللام في لتفسدن جواب قسم محذوف، تقديره: وأقسمنا لتفسدن في الأرض مرتين، وقد تكرر إفساد بني إسرائيل عبر تاريخهم مرات عديدة، لكنه يبلغ الغاية في مرتين، ومن إفسادهم في الأرض قتل الأنبياء ومنهم يحيى وزكريا عليهما السلام، وسعيهم لقتل عيسى عليه السلام، وقد سجل القرآن عليهم ذلك قال الله تعالى: ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.[٢]

---

١ – تفسير الطبري (١٤/ ٤٥٥)

٢ – سورة آل عمران: الآية/ ١١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولعل المراد من الإفساد الثاني هو ما يفعلون في زماننا هذا بأهل فلسطين فلم يعرف في تاريخ بني إسرائيل أن قتلوا هذا العدد من الناس، ومن إفسادهم في الأرض في زماننا نشر الإلحاد والرذيلة والدعارة في العالم.

﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً﴾.

العلو لغة: الغلبة والقهر، ومجاوزة الحد، وقد بلغوا الغاية في قهر من حولهم من الدول، وطغوا على كل من جاورهم.

﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما﴾.

يعني: أولى المرتين، وتقدم أنَّ إفسادهم في الأرض كان بقتل الأنبياء ومنهم يحيى وزكريا عليهما السلام، وسعيهم لقتل عيسى عليه السلام، وقيل عبدوا غير الله تعالى، وقال قتادة: إفسادهم في المرة الأولى ما خالفوا من أحكام التوراة، وركبوا المحارم.

وليس بعيدًا أن يقع كل ذلك من بني إسرائيل وهم الذين قالوا لموسى عليه السلام حين أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم: ﴿اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وهم الذين عبدوا العجل من دون الله تعالى.

﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

أي: سلَّطْنا عليكم، جندًا من خلقنا أشداء في القتال، ذوي بطش وقوة في الحروب، واختلف في المراد بهم فقال ابن عَبَّاس: هم جالوت وقومه، وقال سعيد بن الْمسيب: بخت نصر الْفَارِسِي، وقال سعيد بن جبير: يعني سنحاريب من أهل نينوى.[١]

﴿فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ﴾.

أي: فطافوا يتخللون دياركم يبحثون عمن بقي منكم لقتله.

١ - تفسير البغوي (٣/ ١٢٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال الزجاج: معناه طافوا خلال الديار هل بقي أحد لم يقتلوه؟ قال: والجوس: طلب الشيء باستقصاء.

﴿وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾.

أي: وكان ذلك الأمر كائنًا لا محالة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي: ثم أدلنا دولتهم وجعلنا لمن بقي منكم الغلبة، والدولةَ عليهم.

﴿وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾.

وزدناكم أموالًا وأعطيناكم أولادًا، وجعلناكم أكثر منهم عددًا، والنفيرُ: من يَنفِرُ مع الرجلِ من قومِه.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: وقلنا لهم: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها.....﴾.

أي: إن أحسنتم بطاعة الله فامتثلتم أمره، واجتنبتم أسباب سخطه عاد نفع ذلك لكم، وإن أسأتم بمخالفة أمره، واجترأتم على محارمه أسأتم لأنفسكم وعاد شؤم ذلك عليكم.

قال ابن عباس: يريد إن أطعتم الله فيما بقي عفا عنكم المساوئ، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾، قال: يريد الفساد وعصيان الأنبياء وقتلهم، ﴿فَلَهَا﴾، قال: يريد فعلى أنفسكم يقع الوبال.

وقوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: اللامُ هنا للاستحقاق؛ كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.[1]

﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ﴾.

أي: فإذا أفسدتم الكرة الثانية، وجاء وقتُ العقاب بعثنا عليكم عبادًا لنا ﴿لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ﴾؛ أي ليهينوكم وليقهروكم، وعزا الإساءة إلى الوجوه؛ لأنَّ آثار الذل والقهر والإهانة إنَّما تظهر على الوجه.

---

١ - سورة الرعد: الآية/ ٣٤

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أي وليدخلوا المسجد الأقصى ﴿كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾؛ أي: في التي جاسوا فيها خلال الديار، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾؛ أي: يدمروا ويخربوا ويهلكوا ﴿ما عَلَوْا﴾؛ أي: ما ظهروا عليه، ﴿تَتْبِيرًا﴾؛ أي: إهلاكًا عظيمًا.

﴿عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً﴾.

يعني: ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم إن آمنتم به وصدقتموه.

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا﴾.

يعني: وَإِن عدتم إِلَى الإفساد والطغيان عدنا إِلى الانتقام.

﴿وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً﴾.

أي: جعلناها لكم ولأمثالكم ﴿حَصِيرًا﴾، قال مُجاهِد: محبسًا؛ أي: سجنًا ومَحبسًا لمن مات منكم مصرًّا على كفره، والحصر هو الحَبس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (١٠) وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً (١٠)﴾.

يقول الله تعالى: إن هذا القرآن يُرشد للطَّريقة التي هي أقومُ الطرق وللملة إلى هي أقوم المللِ، يعني: أكثرها استقامة، وهي ملةُ الإسلام.

﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾.

أي: ويبشر المؤمنين الطائعين الذين امتثلوا أمره واجتنبوا نهيه أن لهم ثوابًا جزيلًا وأجرًا عظيمًا في جنات النعيم.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾.

وأن الذين لا يصدقون بالبعث بعد الموت، ولا يقرون بالحساب والثواب والعقاب، والجنة والنار، لذلك لا يتحاشون عن معصية، ولا يمتنعون عن ذنب اعددنا لهم عذابًا مؤلِمًا، ليقابل ما كانوا يتمتعون به من الشهوات في الدنيا، والجزاء من جنس العمل.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾.

يخبر الله تعالى عن حال الإنسان، والإنسان هنا اسم جنس يدخل فيه المؤمن والكافر، وعن استعجاله، وضجره فيدعو على نفسه أو أهله أو ماله بما لا يحب أن يستجاب له، بالهلاك والموت أو اللعنة لشدة ضجره، ولو استجاب الله له لهلك بدعائه على نفسه.

﴿وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً﴾.

أي: وكان شأن الإنسان الاستعجال في تحقيق مراده كما قال تعالى مبالغةً في فرط استعجاله وقلَّة تأنِّيه: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، جعل ما طبع عليه بمنزلة ما خلق منه.

ومن استعجال ابن آدم استعجال الإجابة؛ ما رواه البخاري عَن أَبِي هُرَيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي».[١]

١ - رواه البخاري- كتاب الدعوات، باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل، حديث رقم: ٦٣٤٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِساب وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً (١٢) وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً (١٣) اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (١٤)﴾.

يقول الله تعالى: وجعلنا الليل والنهار علامتين تدلّان على قدرة الخالق تبارك وتعالى.

﴿فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً﴾.

أي: فمحونا الآية التي هي الليل فجعلناه مظلمًا، وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة أي: منيرًا.

ويحتمل أن يكون المراد: فمحونا آية الليل وهي القمر، حيث لم يخلق له شعاعاً كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بينة، وجعلنا آية النهار وهي الشمس ذات شعاع يُرى في ضوئها كل شيء.

﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

الابتغاءُ: الطَّلبُ؛ أي: لتطلبوا في النهار أسباب معاشكم، التي قدرها لكم ربكم.

﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِساب﴾.

في تعاقب الليل والنهار، وفي منازل الأهلة علم الناس الأيام والشهور والسنين، والحساب؛ كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾.[1]

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً﴾.

أي: وكل شيء تفتقرون إليه في معاشكم، ومعادكم بيَّنّاه بيانًا كافيًا لا لبس فيه.

﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾.

١ – سورة البقرة: الآية/ ١٨٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يخبر الله تعالى أنه ألزم كل إنسان ما قدَّرَ عليه له أن يعمله، وما هو صائرٌ إليه من شقاءٍ أو سعادةٍ بعملِه في عُنقِه لا يفارقُه.

قال البغوي: قال أهل المعاني: أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله، وما هو صائر إليه من سعادة أو شقاوة، سمي طائرًا على عادة العرب فيما كانت تتفاءل وتتشاءم به من سوانح الطير وبوارحها.[1]

وقال الزجاج: ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق.[2]

وقال ابن عباس: عملُه وما قُدِّر عليه، فهو ملازِمُه أينما كان، وزائلٌ معَه أينما زالَ.

وقال مجاهد: مكتوب فِي ورقة معلقة فِي عنقه شقي أم سعيد.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً﴾.

هو كتابه الذي سطرت فيه أعماله؛ ودل عليه ما ثبت عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ».[3]

---

١ – تفسير البغوي (٥/ ٨٢)

٢ – الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٢٩)

٣ – رواه ابن ماجه– كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث رقم: ٤٣٠٠، والحاكم– كتاب الدعاء والتسبيح والتكبير والتهليل والذكر، حديث رقم: ١٩٥٨، بسند صحيح

﴿اقْرَأْ كِتابَكَ﴾.

أي: يقال له: اقرأ؛ فيقرأُ قارئًا كان أو غيرَ قارئ؛ لأنَّ الأعمال هناك متمثلةٌ بصورها وهيئاتها، يعرفها كلُّ أحد.

﴿كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

أي: حسبُك اليومَ بنفسِك عليك محاسبًا يحسِبُ عليك أعمالَك، ويُحصيها عليك.

عن الحسن قال: كل آدمي في عنقه قلادة، تكتب فيها نسخة عمله، فإذا طويت قلدها، فإذا بعث نشرت له، وقيل: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. يا ابن آدم أنصفك من خلقك، جعلك حسيب نفسك.[1]

١ - رواه عبد الله بن المبارك في الزهد- باب فضل ذكر الله عز وجل، رقم: ١٥٦٣

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (١٧)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أنه ألزم كل إنسان ما قدَّرَ عليه له أن يعمله، وما هو صائرٌ إليه بقوله: ﴿وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾، أخبر في هذه الآية أن من استقام على أمر الله، نفع ذلك ووجده عند الله تعالى، وأن عمله لا يؤاخذ به لا غيرُه، ويؤاخَذُ هو بعمل غيره.

﴿مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾.

يقول الله تعالى: من استقام على أمر الله، وداوم على تقوى الله تعالى كان نفع ذلك عائدًا عليه.

﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها﴾.

ومن حاد عن الصراط المستقيم، وتنكب الطريق القويم، فإن مغبة ذلك عليه، ووباله عائد إليه.

﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾.

لا تحمل نفس ذنب أخرى، لَا يُؤَاخذ أحد بذنب غيره.

﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

يخبر الله تعالى أنه لا يعذب أحدًا من خلقه حتى يقيم عليه الحجة التي ينقطع به عذره بإرسال رسول، يُبيِّن له ما يجب عليه، وهذا من تمام عدل الله تعالى، ومن كمال رحمته بالخلق.

﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها﴾.

يخبر الله تعالى أن من سنته تعالى في خلقه أنه إذا أراد إهلاك أمة من الأمم أمر مترفيهم وهم الملأ أصحاب الجاه والسلطان والغنى، على لسان رسولهم الذي أرسله إليه بطاعة الله تعالى، ﴿فَفَسَقُوا فِيها﴾، أي: خرجوا عن طاعة الله تعالى وتمردوا على أمره وجاهروا بالمعاصي، وأبوا إلا الكفر.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً﴾.

أي: فوجب عليها الوعيد والعذاب ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾؛ أي: أهلكناها واستأصلناها.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

كم للتكثير؛ أي: وما أكثرَ ما أهلكنا من القرون، والقرون جمع قرنٍ، واختلفُوا في القرن، فقال بعضهم: القرن مائة وَعِشرُونَ سنة، وقيل: مائة سنة، وقيل: ثَمَانُون سنة، وقيل غير ذلك، وفي الكلام حذف إيجاز تقديره: وكم أهلكنا من أهل الْقُرُون.

وفي الكلام تهديد ووعيد للمشركين، وتسلية للضعفاء المظلومين.

﴿وَكَفى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾.

بيان لسبب إهلاكهم وهي الذنوب والكفر، وأن لها من الله طالبًا، وأنهم لا يخفون عليه تعالى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً (١٨) وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (١٩) كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١)﴾.

يقول الله تعالى: مَن كان يريد بعمله الدنيا ﴿عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾، أي: عجلنا له ما نشاء تعجليه من الجزاء في الدنيا، من الصحة والأمن والغنى والجاه، وكثرة الأولاد، لمن نريد أن نعجل له، فلم نعطه منها إلا ما نشاء.

قال في الكشاف: فقيد الأمر تقييدين، أحدهما: تقييد المعجل بمشيئته. والثاني: تقييد المعجل له بإرادته.[١]

﴿ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾.

ثم جعلنا جزاءه في الآخرة جهنم يدخلها مهانًا مطرودًا من رحمة الله تعالى.

﴿وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾.

ومن أراد بعمله الدار الآخرة واجتهد في طاعة الله تعالى بامتثال أمره واجتناب محارمه، مع تحقيقه للإيمان، فأولئك الذين رضي الله سعيهم، وقَبِلَ أعمالهم، وأثابهم عليها.

﴿كُلاًّ نُمِدُّ هؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ﴾.

كِلَا الفريقين، من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة نعطيهم ونمدهم فيما هم فيه من رزق الله تعالى.

﴿وَما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾.

وما كان رزق الله تعالى ممنوعًا عن عباده، فالرزق يعم المؤمن والكافر، والآخرة للمتقين.

---

١ - تفسير الكشاف (٢/ ٦٥٥)

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: انظر يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق فهذا موسع عليه وهذا مضيق عليه، وهذا مهتدٍ وهذا ضال.

﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.

وللآخرة أكبر درجات من الدنيا وأصحابها أعلى في مراتب الفضل والنعيم مما بين الناس في الدنيا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (٢٢) وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم لا تجعل يا محمد مع الله إلهًا آخر تعبده مع الله كما يفعل المشركون فتصير بذلك مستحقًا للذم حين جعلت المخلوق مستحقًا للعباد مع الله الخالق، والمذموم: المذكور بالسوء والعيب، وتصير مخذولًا إذا أسلمك لمن أرادك بسوء، والمخذول: الذي أسلمه ناصره.

وهذا من الخاص الذي يراد به العموم، فالخطاب وإن كان متجهًا للرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه عام للأمة جمعاء؛ ومثله قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾.[1]

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

تقدم أن لفظ قضى يطلق في كتاب الله ويراد به عدة معان منها أمر كما في هذا الموضع فقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾؛ يعني أمر أمرًا جازمًا؛ قال ابن عباس: يريد وأمر ربك ليس هو قضاء حكم.

﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾. أن تفسيرية، ولا ناهية؛ يعني: أمر أن توحدوه ولا تشركوا به، ويحتمل أن يكون المعنى: قضى بأن لا تعبدوا إلا إياه، وقوله: ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾، قصر للعبادة عليه وحده.

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

أي: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا، وقرن تعالى بر الوالدين بتوحيده للدلالة على شدة تأكيد بر الوالدين.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

﴿إِمَّا﴾ عبارة عن كلمتين: (إنْ) الشرطية و (ما) صلة للتأكيد، والمعنى: إن بلغ في كنفك أحد والديك أو بلغا كلاهما الكبر في كنفك فلا تسمعهما قولًا سيئًا، ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ.

---

١ - سورة الطلاق: الآية/ ١

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وخلفٌ (يَبْلُغَانِ) بألفٍ بعدَ الغينِ وكسرِ النونِ على التثنية، وقرأ الباقونَ: بغير ألفٍ، وفتحِ النون على الإفراد.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾.

أي: ولا تزجرهما، والنهر الزجر يقال: نهره ينهره نهرًا، وانتهره ينتهره انتهارًا.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: لا تنفض يدك على والديك.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

أي: وقل لهما قولًا جميلًا حسنًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٧)﴾.

يأمر الله تعالى أن يكون الولد ذليلًا لوالديه، خاضعًا لهما، سريع الاستجابة لهما، لين الجانب لهما، ولا يمتنع من شيء أحباه، من فَرْط رحمته إياهما، وخفض جناح الذلِّ، كناية عنِ اللين والتواضع.

عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ يقول: اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ.[1]

﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

أي: وادعُ اللهَ تعالى أن يرحمهما في كبرهما وعند وفاتهما ليكون البرُّ مشتملًا على الأقوال والأفعال.

﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾.

جزاء إحسانهما لي ورحمتهما بتربيتهما لي حال الصغر.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾.

أي: بما تُضمرون من البِرِّ والعقوق، فإن تكونوا طائعين لله تعالى مستقيمين على أمره، فإنه كان الرَّاجعين عن معاصي الله تعالى غفورًا لما بدر منهم.

والأوَّاب: كثير الرجوع لله تعالى بالتوبة كلما بدر من ذنب.

١ – رواه ابن أبي حاتم– رقم: ١٣٢٣٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾.

ولما أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين ثني بذي القربى فأمر بإعطائه حقَّه الواجب له من الصلة والمواساة، فعَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ».[1]

يقول تعالى: وأعطِ ﴿الْمِسْكِينَ﴾ أيضًا وهو من سكن الفقر حركته، ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ كذلك وهو المنقطع في سفره.

﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾.

أي: ولا تُسرف إسرافًا، وهو إنفاق المال في غير حق، وأصل التبذير: التفريق ومنه البذرُ؛ لأنه يفرقُ في الأرض للزِّراعة، وقال مجاهد: لو أنفق الرجل ماله كلَّه في حقٍّ، ما كان مبذِّراً.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾.

لأنهم أمثالهم في الشرِّ، ومطيعون لهم فيما يدعونهم إليه، ويشاكلونهم في معصية الله تعالى.

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾.

أي: جَحُودًا لنعمه؛ ولما كان التبذير كفرًا لنعمة الله، جعل الله المبذرين إخوانًا للشياطين؛ لأنَّهم موافقون للشياطين في الصِّفة والفعل.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٦٢٣٥، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً (٢٨)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: وإذا ما أعرضت يا محمدُ صلى الله عليه وسلم عمن أمَرتُك أن تُؤتيَهم حقوقَهم، لأنك لا تجد ما تعطيهم حياءً منهم ورحمةً لهم وشفقة عليهم.

﴿ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها﴾.

انتظار رزق ترجوه من الله تعالى، فسمى الرزق رحمة.

وتطلق الرَّحمَة في القُرآن ويراد بها سَبعَة معانٍ:

الأوّل: القُرْآن، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾، [النساء: ٨٣]، أراد بالفَضْلِ الإسْلام، وبالرَّحمَة القُرآن.

الثاني: بمعنى الإسْلام؛ قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الإنسان: ٣١]، أي: في الإسلام.

الثالث: بمعنى: الجنة؛ قال تعالى: ﴿أولئك يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣]، أي: من جَنَّتِي.

الرَّابع: المطر؛ قال تعالى: ﴿يُرْسِلُ الرياح بُشْرَى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، أي: بين يدي المطر

الخامس: النِّعمة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ [النور: ٢٠]، أي: ونعمته.

السادس: النبوة؛ قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، أي: النُّبُوَّة.

السابع: الرِّزْق؛ كما هنا، وكما في قوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ الله لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر: ٢]، أي: رزقٍ.[1]

﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً﴾.

أي: فعدهم وعدًا حسنًا، فقل: سوف أعطيكم؛ وأقضي حقّكم، وأصلكم إذا فتح الله علينا.

١ - اللباب في علوم الكتاب (٦/ ٥٢٣)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (٣٠)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك حتى كأنها مقيدة إلى عنقك، ولا تبسطها كل البسط في الإعطاء والبذل فتلوم نفسك ويلومك الناس، والمحسور: المنقطع، أي: فتظل منقطعًا عن النفقة والتصرف، كمن بلغ الغاية في الإعياء والتعب.

قال ابن جرير: وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ تعالى للمُمتنعِ من الإنفاقِ في الحقوقِ التي أوجَبها اللهُ في أموالِ ذوي الأموالِ، فجعَله كالمشدودةِ يدُه إلى عنقِه، الذي لا يَقْدِرُ على الأخذِ بها والإعطاءِ.[1]

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ﴾، كناية عن البخل، وقوله: ﴿وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ﴾، كناية عن الإسراف، وقد قيل: الفضيلة وسط بين رذيلتين، فالجود وسط بين الإسراف والتقتير.

وعلى هذا يحمل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في البذل والجود، فقد كان أجود الناس من غير إسراف، وقد كان أبعد الناس عن البخل؛ وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل للبخيل والمنفق، ترغيبًا في الإنفاق، وتنفيرًا من البخل؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ».[2]

١ – تفسير الطبري (١٤/ ٥٧٣)

٢ – رواه البخاري- كتاب الزكاة، باب: مثل المتصدق والبخيل، حديث رقم: ١٤٤٣، ومسلم- كتاب الزكاة، باب: مثل المنفق والبخيل، حديث رقم: ١٠٢١

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾.

أي: إن الله تعالى هو الذي يوسّع الرزق على مَن يشاء من عباده، ليَمتحِنَهم بالشكر، ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: وهو الذي يضيِّق على ما يعلم من يشاء من عباده، ليَمتحِنهم بالصبر.

﴿إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾.

أي: إنه كان عليمًا بما يصلح عباده، وما يفسدهم، بصيرًا بأحوالهم وأعمالهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلاً (٣٢)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما بين الله تعالى في الآية السابقة أنه هو المتكفل بأرزاق العباد بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾، نهى في هذه الآية عن قتل الأولاد خوفًا من حصول الفقر في المستقبل، وكان من أهل الجاهلية من يقتل أولاده ذكورًا كانوا أو إناثًا خشية الفقر.

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾.

يقول الله تعالى لعباده: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ﴾، فيدخل في ذلك الذكور والإناث، فيدخل فيه وأد البنات وغيره، ﴿خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾، أي: خشية حصول الفقر في المستقبل، وهذه الصورة أقبح من قتلهم بسبب الفقر الحاصل؛ المذكور في قول الله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١]؛ لما فيها من سوء الظن بالله تعالى، وقتل الأولاد من أعظم الذنوب، والإملاق: الفقر.

وقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ﴾، خرج مخرج الغالب لأن قتل الأولاد كان أكثر من قتل غيرهم، وهو الوأد، وهو أشنع القتل، ولأن قتلهم فيه قطيعة الرحم أيضًا، فصرف العناية إليه أكثر.

﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

قدم رزق الأولاد وجعل الآباء تبعًا لهم في الرزق لبيان أنه لا رازق سواه وأن الآباء لا يملكون من الأرزاق شيئًا

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً﴾.

والخِطْءُ والخَطَأ مصدر خَطِئ يَخْطأُ كالحِذْر والحَذَر، ويقال: خَطِئ: إذا أثم، وأخطأ: ضدُّ تعمَّد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يعني: إن قتلهم كان إثمًا كبيرًا؛ عن عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ تَدْعُوَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ. قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل تَصْدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾».[1]

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾، والنهي هنا عن الزنى وعن مقدماته؛ كالمس والقبلة ونحوهما؛ لقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا﴾، وهو أبلغ من مجرد النهي عن الزنى، ولو كان المراد النهي عن الزني وحده لقال: (ولا تزنوا)؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ».[2]

﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

أي: إنَّه كانَ فعلة قبيحة ظاهرة القبح، لذلك ينفر من أصحاب العقول والفطر السوية المستقيمة؛ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَى، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ، فَزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: "ادْنُهْ" فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ، قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ" قَالَ: "فَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ" قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ

---

١ – رواه البخاري– كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، حديث رقم: ٦٠٠١، ومسلم– كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، حديث رقم: ٨٦

٢ – رواه البخاري– كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، حديث رقم: ٦٢٤٣، ومسلم– كتاب القدر، باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، حديث رقم: ٢٦٥٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ" قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ" قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ ﴿وساءَ سَبِيلاً﴾؛ أي: وساء سبيله سبيلاً؛ لأنه يفضي إلى النار وغضب الجبار؛ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ يَزْنِي، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».[1]

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً (٣٣)﴾.

الكلام معطوف على ما قبله، وتقديره وقضى ربكم ألا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وهي كلُّ نفس عصَمها الإسلام وحقَن دمَها بكلمة التوحيد أو بعهد، ولفظ الحق هنا مجمل فصلته السنة؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ؛ الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ».[2]

فالحق الذي تُقْتَل به: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس عمدًا.

---

١ – رواه البخاري– كتاب النكاح، باب الغيرة، حديث رقم: ٥٢٢١

٢ – رواه البخاري–كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، حديث رقم: ٦٨٧٨، ومسلم– كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، حديث رقم: ١٦٧٦

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً﴾.

أي: ومن قتل بغير واحدة من هذه الخصال، ﴿فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً﴾، يعني وارثه الذي بينه وبينه قرابة توجب له المطالبة بدمه، فإن لم يكن له ولي فالسلطان وليه، والمراد بالسلطان الحجة التي تجعله يقتل قاتله.

﴿فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ﴾.

قال ابن عباس: هو أن يقتل غير القاتل.

وقال سعيد بن جبير: السرف في القتل أن يطلب قتل الجماعة بالواحد. كما كان يفعل أهل الجاهلية.

قال طَلَقُ بن حَبيب: هو أن يمثل بالقاتل.

وكل ذلك من الإسراف في القتل.

﴿إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾.

يعني الولي نصره الله تعالى بتمكينه من قاتل وليه.

قال قتادة: هو دفعُ الإمامِ إليه – يعنى إلى الوليِّ – فإن شاء قتَل، وإن شاء عفا.[١]

وعنه قال: إن الوليَّ منصورٌ باستيفاء القصاص، وعلى الأئمة والمسلمين نصره بإيفاء حقِّه.[٢]

١ – تفسير الطبري (١٤/ ٥٨٩)

٢ – التيسير في التفسير (٩/ ٤٠٤)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً (٣٤)﴾.

يقول الله تعالى: وقضى ربكم ألا تقربوا مال اليتيم إلا بما فيه صلاح له، يعني: طلب التجارة فيه وتثميره، وألا يخلط ماله بمال نفسه، وألا يأكل إلا بالمعروف إذا كان فقيرًا.

عن ابن عبَّاس قال: لما نزلَتْ هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ [النساء: ١٠]، قال: اجتنبَ النَّاسُ مالَ اليتيمِ وطعامَهُ، فشَقَّ ذلك على المسلمين، فشَكَوْا ذلك إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فأنزلَ الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ إلى قوله: ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠].[١]

﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

المراد ببلوغ الأشد: أن يبلغ رشيدًا، حسن النظر في الأمور وحسن التصرف فيها؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ﴾.[٢]

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾.

أي: وأوفوا بعهد الله والمراد: امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وقيل هو عام فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس، وهذا أولى لأنه يشمل كل عهد.

﴿إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: إن صاحب العهد كان مسؤولًا عنه.

١ – رواه النسائي– كتاب الوصايا، ما للوصي من مال اليتيم إذا قام عليه، حديث رقم: ٣٦٦٩، بسند حسن

٢ – سورة النساء: الآية/ ٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً (٣٦)﴾.

يقولُ الله تعالى: وقضَى ربكم أن أوفوا الكيلَ للناسِ إذا كلتم لهم حقوقَهم التي لهم عليكم، ولا تبخَسُوهم حقهم.

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾.

قال الخليل: القسطاس لغة: أقوم الموازين، وقيل القسطاس: الميزان صغُر أو كبُر، يقول تعالى: وزنوا لهم حقهم إذا وزَنتُم لهم بالميزانِ العدل الذي لا ميل فيه، ولا خداع.

﴿ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.

أي: أن إيفاءكم الناس حقوقهم في الكيل والميزان خيرٌ لكم في دنياكم وآخرتكم وأحسن عاقبةً لكم.

قال قتادة: وأحسنُ ثوابًا في العاقبة. وهو كقوله: ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]، وقوله: ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤].

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

أصلُ القَفْو: اتِّباع الأثر، يقول الله تعالى: ولا تتبع ما ليس لك به علم.

قال قتادة: أي: ولا تقُل: سمعتُ، ولم تسمع، ولا: رأيتُ، ولم ترَ، ولا: علمتُ، ولم تَعلم.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً﴾.

أي: كلُّ هذه الأشياء وهي السمع والبصر والفؤاد كان صاحبها مسؤولًا عنها يوم القيامة.

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ أَوْ يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَا لَمْ يَقُلْ».[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَحَلَّمَ حُلُمًا كَاذِبًا، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَيُعَذَّبُ عَلَى ذَلِكَ».[2]

---

١ - رواه البخاري- كتاب المناقب، باب، حديث رقم: ٣٥٠٩

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٣٣٨٣، والترمذي-أبواب الرؤيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في الذي يكذب في حلمه، حديث: ٢٢٨٣، وابن ماجه-كتاب تعبير الرؤيا، باب من تحلم حلما كاذبا، حديث رقم: ٣٩١٦، بسند صحيح

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً (٣٨) ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً (٣٩)﴾.

يقول الله تعالى: ولا تمش في الأرض فرِحًا مختالًا، أشرًا متكبرًا.

قال قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾: لا تمشي فخرًا وكبرًا فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا إن يخرق الأرض بفخرك وكبرك.[١]

وقال ابن سيده: المرح: شدة الفرح حتى يجاوز قدره. وقيل: المرح: التبختر والاختيال.

﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً﴾.

أي: إنك مهما بلغت قوتك فلن تشق الأرض بتمايلك، وشدة مشيك، ولن تطاول الجبال بفخرك وإعجابك بنفسك.

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلَّلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».[٢]

﴿كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾.

قرأ ابن كثير ونافعٌ وأبو جعفرٍ وأبو عمرٍو ويعقوبُ: ﴿سيئةً﴾، بالتاء المربوطة، المنوَّنةِ؛ أي: خصالًا سيئةً، إشارة إلى ما تقدم من المنهيات.

وقرأ الباقون: ﴿سَيِّئُهُ﴾، بضمِّ الهمزةِ والهاءِ إضافة إلى السَّيِّئ منه، أي: كل هذا الذي ذكرناه من قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ﴾ إلى ها هنا كان ﴿سَيِّئُهُ﴾، أي: قبيحه مكروه عند الله.

---

١ – رواه الطبري (١٤/ ٥٩٨)، وابن أبي حاتم- رقم: ١٣٢٩٢

٢ – رواه البخاري- كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء، حديث رقم: ٥٧٨٩

وليس المقصود بالمكروه هنا، المكروه في اصطلاح الأصوليين، بل المقصود بالمكروه هنا التحريم.

﴿ذلِكَ مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾.

﴿ذلِكَ﴾، إشارة إلى ما تقدم من آداب وأحكام، ﴿مِمَّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾، أي: مما أنزله الله تعالى عليك من التشريعات والأحكام التي تقتضيها حكمة الله لمصالح العباد الدنيوية والأخروية.

قال ابن عباس: يريد من الفرائض والسُّنَن.

﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾.

يقول تعالى: ولا تجعل مع الله شريكًا في عبادتك، فتلقى في جهنم ﴿مَلُوماً﴾، مستحقًا للوم والذم، ﴿مَدْحُوراً﴾، مبعدًا مطرودًا من رحمة الله تعالى، ونهى عن الشرك هنا، ونهى عن الشرك في أول الآيات في قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ﴾؛ تنبيهًا على ملازمة العبد لتوحيد الله تعالى ومجانبة الشرك في كل قول وفعل، في أول العمل وآخره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً (٤١) قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢) سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً (٤٣)﴾.

يقول الله تعالى منكرًا عليهم ومقرعًا وموبخًا المشركين الوثنيين الذين كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا: ﴿أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً﴾، أي: هل اجتباكم ربكم فخصكم بالذكور من الأولاد، واتخذ هو تبارك وتعالى بنات جعلهن ملائكة بزعمكم؛ وذلك لأنهم كانوا يستنكفون عن نسبة البنات إليهم، ويكرهوهن؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ سُبْحانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾.[1]

﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً﴾.

إن لتقولون قولًا عظيم الخطر، مستبشَعًا جدًا في حق الله؛ لأنه افتراء على الله كما قال تعالى: ﴿وَقالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَداً (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا (٨٩) تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَداً﴾ [مريم: ٨٨- ٩١]، وذلك لأنه سبٌّ لله تعالى، وهو منزه عن الصاحبة الولد.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً﴾.

معنى التصريف هنا: التبيين؛ وشدد للتكثير، أي: ولقد بينا لهم القول بيانًا لا لبس في القرآن ليتعظوا ويفهموا عن الله مراده، ويعظموا قدر الله تعالى، لكنهم لم يزدادوا بذلك إلا إعراضًا عن الحق ونفورًا عن

---

١ – سورة الزخرف: الآية/ ١٩

الإيمان؛ لاعتقادهم أنه مفترى وأنه كذب على الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا﴾.[1]

﴿قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾.

أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المشركين: لو كان مع الله آلهة كما يزعمون ذلك إذًا لابتغوا القُربَ إليه، وسعوا إلى تحصيل مرضاته تعالى بكل سبيل.

وقوله تعالى: ﴿إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾، يعني إلى الإله العظيم، ذي العرش العظيم.

﴿سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً﴾.

نزه نفسه تعالى عما يقوله المشركون الوثنيون علوًّا كبيرًا؛ لأنهم ما قدروا الله حق قدره.

---

١ - سورة فاطر: الآية/ ٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (٤٤)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى عن إعراض المشركين عن الإيمان بالله، وأنهم لم يزدادوا بنزول القرآن إلا إعراضًا عن الحق ونفورًا عن الإيمان، أن الله تعالى غني عنهم وعن عبادتهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وأنهم لم يضروا بإعراضهم عن الإيمان إلا أنفسهم؛ فإن السماوات السبع والأرضين السبع ومن فيهن يسبحون الله تعالى، ويصلون له عز وجل ولكن لا نفقه صلاتهم وتسبيحهم.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾.

يخبر الله تعالى أنه ما من مخلوق في الكون إلا ويعبد الله تعالى بالتسبيح ويصلي خاشعًا له تعالى صلاة حقيقة فطره الله تعالى عليها وعلمه إياها إلا عصاة بني آدم والجن؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾.[١]

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، من باب تغليب العاقل على غير لعاقل بدليل قوله بعدها، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.

(إِنْ) نافية؛ أي: وما من شيء مهما صغر جرمه أو كبر إلا وهو يسبح بحمد الله تعالى، ويصلي لله تعالى؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، دَعَا ابْنَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي قَاصِرٌ عَلَيْكُمَا الْوَصِيَّةَ، آمُرُكُمَا بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكُمَا عَنِ اثْنَتَيْنِ، أَنْهَاكُمَا عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ، وَآمُرُكُمَا بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا لَوْ وُضِعَت

---

١ - سورة النور: الآية/ ٤١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، كَانَتْ أَرْجَحَ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا حَلْقَةً، فَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِمَا، لَفَصَمَتْهَا، أَوْ لَقَصَمَتْهَا، وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ».[1]

﴿وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

الخطاب للناس جميعًا؛ لأنهم لا يسمعون أصوات كل الكائنات، وما سمعوا صوته لا يفهمون لغته، وأظهر الله تعالى شيئًا من ذلك معجزة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ ومن ذلك تسبيح الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ قَالَ: «كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهْوَ يُؤْكَلُ». رواه البخاري

﴿إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.

أي: لا يعاجل بالعقوبة من عصاه وكفر به، ﴿غَفُوراً﴾، لمن آمن وتاب وأناب ورجع إليه.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٧١٠١، بسند صحيح

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً (٤٥) وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (٤٦)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا قرأت القرآن على أولئك المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور، ولا يرجون يوم القيامة ثوابًا ولا يخافون عقابًا، جعلنا بينك وبينهم حجابًا ساترًا، فلا تنفذ إلى قلوبهم أنوار القرآن، ولا تستنير به بصائرهم؛ كما قالوا هم عن أنفسهم؛ قال تعالى: ﴿وَقالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ﴾.[1]

قال قتادة: ﴿حِجاباً مَسْتُوراً﴾. قال: هي الأكنة.

﴿وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

يقول تعالى وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿أَكِنَّةً﴾؛ أي: أغطية، جمع كنان؛ أي: غطاء، ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾، (أنْ) هنا نافية؛ أي: لئلا يفقهوه.

﴿وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾.

أي: ثقلاً، يمنعهم عن استماعه.

﴿وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً﴾.

أي: غير مشفوع بذكر آلهتهم، ولوا على أدبارهم هاربين، ونفروا نفرة حمر الوحش كراهية لذكر الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، فيقع منهم الاشمئزاز أولًا ثم يعقبه التولي والإعراض نفورًا من سماع اسم الله تعالى.

---

١ - سورة فصلت: الآية/ ٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٤٨) وَقالُوا أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٤٩)﴾.

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: نحن أعلم يا محمد بما يستمع به هؤلاء المشركون، من السخرية والاستهزاء؛ كما يقال فلان يستمع بحرص وإنصات، أو بإعراض واستهزاء، وكانوا يفعلون ذلك إذا قرئ عليهم القرآن؛ كما قال تعالى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.[1]

قال بعض المفسرين الباء زائدة، وتقدم مرارًا أن القرآن ليس فيه شيء زائد، والمعنى: نحن أعلم بالحال أو الطريقة التي يستمعون القرآن به، وأنهم يستمعون معرضين مستهزءين لا منصتين ولا جادين.

﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوى﴾.

أي: نحن أعلم بالذي يستمعون ملتبسين به من الإعراض والسخرية والاستهزاء وبالذي يتناجون به.

﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً﴾.

أي: حين يقول المشركون ما تتبعون إلا رجلًا مسحورًا؛ أي: مغلوبًا على عقله.

وقال مجاهد: مخدوعًا. وقيل: مصروفًا عن الحق.

وقيل الذي قال ذلك هو الوليد بن المغيرة فيكون من باب العام الذي يارد به الخصوص.

---

١ – سورة فصلت: الآية/ ٢٧

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾.

أي: انظر، يا محمد كيف مثلوا لك الأمثال، وجعلوا لك الأشباه، فقالوا شاعر وساحر وكاهن ومجنون، فحاروا وحادوا عن الجادة، فلا يهتدون إلى طريق الحق.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقالُوا أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾. الآية/ ٤٩

يقول الله تعالى مخبرًا عن المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور أنهم قالوا: ﴿أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾، وهو استفهام على جهة الإنكار والاستبعاد.

والرفات هو التراب كما قال مجاهد، وأصله: الحطام، قال الجوهري: الرفات: الحطام.

وقال أبو زيد: رفت العظم يرفت رفتًا: انكسر وذهب.

وكان هذا اعتقاد مشركي العرب؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ويقولون: إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع.

﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾

أي: يبعثنا الله يوم القيامة بعد ما بليت عظامنا بلينا، وفنيت أجسادنا، وصرنا ترابًا؟ استبعادًا منهم للبعث والنشور والحساب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ، عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِعَظْمٍ حَائِلٍ، فَفَتَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَيُحْيِي اللَّهُ هَذَا بعد ما أَرَى؟ قَالَ: «نَعَمْ يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا، ثُمَّ يُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ مِنْ آخَرِ يس، أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ إِلَى آخَرِ السُّورَة.[1]

[1] – رواه ابن أبي حاتم: رقم: ١٨١٢٠

وعَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: ٧٨] قَالَ: نَزَلَتْ فِي أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ، جَاءَ بِعَظْمٍ نَخِرٍ فَجَعَلَ يَذْرُوهُ فِي الرِّيحِ، فَقَالَ: أَيُحْيِي اللَّهُ هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «نَعَمْ يُحْيِي اللَّهُ هَذَا وَيُمِيتُكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ».[1]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: جَاءَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَظْمٍ حَائِلٍ فَفَتَّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ يُمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ»، فَنَزَلَتْ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [يس: ٧٨].[2]

---

١ - رواه عبد الرزاق في تفسيره- رقم: ٢٤٩٨

٢ - رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال- رقم: ٨٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (٥٠) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً (٥٢)﴾.

لما قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾، قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (٥٠) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، لما استبعدوا البعث بعد الموت وتحول الأجساد إلى عظامٍ ورفاتٍ، ظنًّا منهم أن العظام والرفات لا تدب فيها الحياة، بين الله تعالى لهم أنه تعالى لا يعجزه شيء، وأنهم لو كان حجارة يابسة أو حديدًا صلبًا، ﴿أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، مثل السماوات والأرض والجبال، أي: لو كنتم في نهاية القوة والامتناع، وفي الكلام حذف اختصار تقديره: فستُبعَثُون وتُحاسبون.

﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا﴾.

أي: فسيقولون من الذي يبعثنا بعد تحلل أجسامنا وتحولها إلى عظام ورفات؟

﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أي: قل لهم: الذي أنشأكم أول مرة، وخلقكم من العدم، ولا شك أن الإيجاد من العدم أعظم خطر وأدل على القدرة من الإحياء والبعث بعد الموت؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ بيس: ٧٨، ٧٩]، وفطركم: أي: أنشأكم من العدم.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ﴾.

الإنغاض: تحريك الرأس؛ أي: سيحركون إليك رؤسهم مستبعدين ومتعجبين مما تقول.

﴿وَيَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾.

يعني البعث، يقولون ذلك سخرية، ﴿قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً﴾، فكل ما هو آت قريب؛ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.[1]

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً﴾.

أي: يوم يبعثكم وينادى عليكم للحساب؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ الْمُنادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾.[2]

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾.

أي: فتلبون النداء مسرعين لا تمتنعون على الله، وقوله تعالى: ﴿بِحَمْدِهِ﴾، اعتراض في الكلام.

عن ابن عباس: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾، أي: بأمره.

﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً﴾.

إن هنا نافية أي: وتظنون أنكم ما مكثتم في الدنيا إلا قليلًا؛ كما قال تعالى: ﴿قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعادِّينَ﴾. [المؤمنون: ١١٢، ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيْرَ ساعَةٍ كَذلِكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم: ٥٥]، وكما قال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.[3]

---

١ – سورة الشورى: الآية/ ١٧

٢ – سورة ق: الآية/ ٤١، ٤٢

٣ – سورة النازعات: الآية/ ٤٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (٥٤)﴾.

سبب نزول الآية:

قال الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فيقولون: يا رسول الله، ائذن لنا في قتالهم. فيقول لهم: إني لم أومر فيهم بشيء. فأنزل الله هذه الآية، والمعنى: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن، قال الحسن: يقولون له: يهديك الله.[١]

وإذا صح أثر الكلبي في سبب النزول فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وقد ورد الأمر بإحسان القول للناس عامة مؤمنهم وكافرهم في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ [البقرة: ٨٣]، والأمر هنا للمؤمنين أن يقول بعضهم لبعض في محادثاتهم الأحسن من الكلام درأً لسوء الظن، وقطعًا لوساوس الشيطان.

﴿إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾.

ينزغ بينهم بالوسوسة، ليفسد ذات بينهم، ويغري بعضهم ببعض ليوقع بينهم العداوة والبغضاء، ويجعله وسيلته لذلك كلمة شديدة يتكلم بها أحدهما.

﴿إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً﴾.

أي: ظاهرَ العداوة لبني آدم.

١ - التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ١١٢)

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾.

أي: ربكم أعلم بما يصلحكم، وبما تستقيم به أموركم، وهو أعلم بمن يستحق الهداية، ومن لا يستحقها، ﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾، بالتوفيق للإيمان والهداية والاستقامة على أمره؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ فلا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾.[١]

﴿وَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾.

أي: وما بعثناك حافظًا عليهم وكفيلاً بهم، ومحاسبًا لهم فما عليك إلا البلاغ.

---

١ - سورة فاطر: الآية/ ٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَآتَيْنا داوُدَ (٥٥) زَبُوراً قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً (٥٧) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (٥٨)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: وربك يا محمد أعلم بمن في السماوات والأرض؛ لأنه تعالى هو الذي خلقهم؛ كما قال تعالى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، وهو تعالى أعلم بما يصلحهم؛ لأنه تعالى هو الذي يدبر شؤنهم.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ﴾.

وأخبر تعالى أنه فضل بعض النبي على بعض؛ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجاتٍ وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وعقيدة أهل السنة والجماعة جواز تفضيل بعض الأنبياء على بعض بغير تنقص من المفضول.

وقد فضل الله تعالى آدم فخلقه بيده وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، واتخذ الله تعالى إبراهيم خليلًا، وجعله للأنبياء أبًا، وكلم الله تعالى موسى تكليمًا، وكتب له التوراة بيده، وجعل الله تعالى عيسى ابن مريم آية للناس، وآتى سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وجعل محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل، وآتاه الله جوامع الكلم، ووعده مقامًا محمودًا، واتخذه الله خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، وفضل الله تعالى أولي العزم من الرسل على غيرهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]؛ وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ﴾.[١]

---

١ – سورة آل عمران: الآية/ ٣٣

﴿وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً﴾.

أي: وأنزلنا عليه كتابًا يقال له الزبور، فيه حكم ومواعظ؛ عَنْ وَاثِلَةَ، وذكر داود عليه السلام بعد ذكر النبيين من عطف الخاص على العام، تنويًا بفضله، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ».[1]

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً﴾.

يقولُ اللهُ تعالى لنبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يَعْبُدون أوثانًا من دونِ اللهِ: ادعُوا أيُّها الناس مَن زعَمتم أنَّهم أربابٌ وآلهةٌ من دونِ الله، هل يملكون كشف الضُّرِّ عنكم إذا نزل بكم، أو هل يملكون تحويله عنكم إلى غيركم، وهو سؤال الغرض منه الإنكار عليهم عبادتهم غير الله.

ولفظ: (الذين) للعموم فيدخل فيه كل ما عبد من دون الله تعالى، الملائكة والمسيح والعزير والحجر والشجر والشمس والقمر، وغير ذلك من الأوثان، وغلب فيه العاقل على غير العاقل.

﴿أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.

﴿أُولئِكَ﴾، إشارة إلى تلك المعبودات والآلهة المزعومة، التي يعبدها المشركون يتقربون إلى الله تعالى، والأمر في الملائكة والمسيح والعزير ظاهر، وغيرها من الكائنات تعبد الله تعالى وتسبح بحمده؛ كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهؤلاء الذين تعبدونهم من دون الله يتقربون إلى الله بأنواع القربات، ويجتهدون في عبادته تعالى.

١ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ١٨٥

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ﴾.

وهم مع عبادتهم لله تعالى واجتهادهم في طاعته يرجون رحمته تعالى ورضاه، ويخافون سخطه تعالى وعذابه، ولا يتحقق الإيمان إلا بالخوف والرجاء، فإذا غلب أحدهما هلك العبد.

﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً﴾.

أي: كانَ حقيقًا بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً﴾.

هذا إخبار بما قدر الله تعالى وقضاه على العباد بأنه ما من قرية على وجه الأرض إلا يصيبها الله تعالى بنوع من الهلاك العام في الدنيا لمن فيها إذا ظهر الفساد، كعاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط وغيرهم، أو بعذاب يصيب الظالمين ومن رضي بظلمهم، كأصحاب السبت، أو يرسل الله تعالى عليهم عذابًا شديدًا كالحرائق والأعاصير والزلازل والبراكين وغيرها.

﴿كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً﴾.

أي: كان ذلك الأمر في اللوح المحفوظ مكتوبًا بأمر الله تعالى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً (٥٩)﴾.

يقولُ الله تعالى: وما منَعَنا يا محمدُ صلى الله عليه وسلم أن نرسلَ بالآياتِ التي اقترحها قومُك، إِلَّا أنَّ كذب بها الأولون بعدما اقترحوها على أنبيائهم، وعلقوا إيمانهم عليها، فلما أرسل بها الله تعالى، وتحققت كما أرادوا كذبوا بها، وإن قومك سألوا ذلك مثلَ سؤالِهم، وسيقع منهم التكذيب كما وقع من الأولين، وسنة الله في الأمم أنهم إذا سألوا الآيات فوقعت كما أرادوا ثم كذبوا أن يعذبهم ولا يمهلهم.

﴿وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

أي: وآتينا ثمود الناقة بينة لا لبس فيها ولا خفاء، قال ابن عباس: يريد كانت لهم عيانًا، وقال قتادة: بيِّنَة، وقال مجاهد: آية مبصرة.

﴿فَظَلَمُوا بِها﴾.

أي: فكفروا وجحدوا بها، وضمن الفعل: ظلم معنى الكفر والتكذيب، وتقديره: فكفروا وكذبوا بها.

قال الزجاج: ﴿فَظَلَمُوا بِها﴾، أي: فظلموا بتكذيبها.[١]

وقال الطيبي: ضمن معنى التكذيب، فعدي بالباء.[٢]

﴿وَما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً﴾.

أي: إلا تخويفًا وإنذرًا بعذاب الآخرة.

١ – معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ٢٤٧)

٢ – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب حاشية الطيبي على الكشاف (٦/ ٣٣٢)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْياناً كَبِيراً (٦٠)﴾.

يقول الله تعالى محرضًا لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس علما وقدرة، فلا يملكون لك نفعًا ولا ضرًّا، ولا يخلص إليك منهم شرٌّ، بل هم في قبضة الله تعالى وتحت سلطانه.

﴿وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾.

المراد بالرؤيا هنا ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾، قَالَ: هِيَ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ».[1]

وإنما جعلها الله تعالى فتنة للناس لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قص عليهم ما رآه ليلة الإسراء انقسم الناس إلى فريقين، فريق آمن به وصدقه، وفريق كفر به وكذبه، وكانت رؤيا عين.

وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس.

وقيل: المراد: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن كذلك.

والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾.[2]

وأما كونها فتنة فلأن المشركين حين سمعوا بها سخروا وتندروا أن يكون في نار جهنم شجرة لها ثمر يؤكل.

---

١ – رواه البخاري– كتاب القدر، بَابُ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾، حديث رقم: ٦٦١٣

٢ – سورة الدخان: الآية/٤٣– ٤٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً﴾.

خوَّف اللهُ تعالى بهذه الشجرة عبادَه، فافتُتِنوا بذلك، وزادوا بغيًا وطغيانًا حتى قال أبو جهلِ بنُ هشامٍ: زعَم صاحبُكم هذا أنَّ في النارِ شجرةً، والنار تأكلُ الشجرَ، وإنا واللهِ ما نعلمُ الزَّقومَ إلا التمرَ والزُّبدَ، فتزقَّموا.[1]

---

١ - تفسير الطبري (١٤/ ٦٥٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (٦١) قالَ أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاّ قَلِيلاً (٦٢)﴾.

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما ذكر الله تعالى حال المشركين وأنهم لا يزيد تخويف الله تعالى لهم إلا طغيانًا كبيرًا، بين الله تعالى في هذه الآيات أنهم الذين صدق عليهم إبليس ظنه وأنهم أتباعه الذين احتنكهم، وصادهم في شباكه، وأنهم يشبهونه في الطغيان والعتو والعناد لرب الأرض والسماء.

﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد إذ ﴿قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾، أصلها: لمن خلقتَه من طينٍ، فنصب (طِيناً) على نزع الخافض، يفتخر عليه إبليس لعنه الله بأنه خلق من نار، وخلق آدم من طين، ولم يعلم الجاهل أن الطين خير من النار؛ فإن من صفات الطين الرزانة ومن صفات النار الطيش، وأن الطين عنصر حياة وبناء، والنار عنصر إحراق وتدمير.

﴿قالَ أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾.

ثم قال وقد امتلأ كبرًا وعنادًا لله تبارك وتعالى: ﴿أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾، يعنى آدم عليه السلام، وأمرتني بالسجود له، والإكرام: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحمَدُ عليه، وعدي ﴿كَرَّمْتَ﴾، بـ (على) لتضمُّنه معنى التَّفضيل.

﴿لئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَاّ قَلِيلاً﴾.

اللام في ﴿لَئِنْ﴾، هي الموطئة للقسم، أقسم عدو الله فقال: أقسم إن أخرت موتي إلى يوم القيامة ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَاّ قَلِيلاً﴾، أي: لأستولين عليهم، ولأستأصلنهم، يقال: احتنك الجراد الزرع: إذا أكله كله واستأصله، واحتنك فلان ما عند فلان من علم: استقصاه. ومنه قولُ الشاعرِ:

نَشْكُو إليكَ سَنَةً قد أَجْحَفَتْ ***** جَهْدًا إلى جَهْدٍ بنا فَأَضْعَفَتْ

واحْتَنَكَتْ أموالَنا وجَلَّفَتْ

وأكد كلامه بالنون بعد القسم مبالغة في إظهار العدواة، وذكر ذرية آدم لبيان أن عداوته أبدية وليس خاصة بآدم عليه السلام، وقوله: ﴿إِلَاّ قَلِيلاً﴾؛ لعلمهم أن من خلق من لا سبيل له عليهم، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.[1]

---

١ - سورة الإسراء: الآية/ ٦٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (٦٤) إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَكَفى بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً (٦٦) وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً (٦٧)﴾.

قال له الله تعالى: اذهب لشأنك الذي اخترتَه. أمره أمرَ إهانةٍ، ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾، فمن أطاعك واتبع أمرك من ذرية آدم، ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً﴾، قال مجاهد: ﴿مَوْفُوراً﴾: وافرًا. والموفور: المكمل.

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾.

أي: واستخفف من استطعت منهم وأزعجهم إلى المعاصي، يقال: استفزه الغضب؛ أي: استخفه. ﴿بِصَوْتِكَ﴾، قال مجاهد، وعكرمة: يعني الغناء والمزامير.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾.

أصل الجَلَبَةِ، وهي شدةُ الصوت، والرَّجْل بإسكان الجيم جمع راجل، وهو الماشي على قدميه، كما أن الركب جمع راكب، أي: أجمع عليهم جيشك وجندك، واستعن عليهم بكل راكب وماش.

﴿وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ﴾.

أي: واجعل لنفسك شريكًا لهم في أموالهم وشريكًا لهم في أولادهم؛ فشركته في الأموال فاكتسابها من الحرام وإنفاقها في معصية الله، وشركته في الأولاد فبعدم ذكر الله عند الجماع، وما ينتج عن الزنا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أما الأموال: فالحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وما حللوا وما حرموا، وأما الأولاد: فأولاد الزنا.

﴿وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً﴾.

يقول تعالى: وعد أتباعك منهم بما شئت من الباطل والخداع تستميلهم به؛ ﴿وما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاّ غُرُوراً﴾؛ لأنه كذوب ومخادع؛ كما قال تعالى: ﴿الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[1]

﴿إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ﴾.

قال الله تعالى لإبليس إن عبادي الذين أطاعوني ليس لك عليهم قوة في إغوائهم، إنما سلطانك وقوتك على من أقبل عليك وأطاعك؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾، وكما قال إبليس لأهل النار: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾.[2]

﴿وَكَفى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾.

أي: وكفي بربك حافظًا وناصرًا لأوليائه.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾.

والإزجاء في اللغة. السَّوق؛ قال مالك بن الريب:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة ***** بجنب الغضا أزجي القلاص النواجيا

أي: خالقكم الذي يتعهدكم برعايته هو الذي يجري الفلك في البحر ويسوقها بقدرته، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ﴾.[3]

١ – سورة البقرة: الآية/ ٢٦٨

٢ – سورة إبراهيم: الآية/ ٢٢

٣ – سورة الشورى: الآية/ ٣٣

﴿إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾.

ومن رحمته أن يسر لكم سبل العيش، وهداكم للانتفاع بما سخره لكم من النعم.

﴿وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾.

ومن رحمته تعالى بكم أنكم إذا عليك الريح، ولعب بكم الموج، ذهب عن خواطر الأوثان، فلم تتذكروا منها شيئًا، وأخلصتم الدعاء لله وحده، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم عن شكره وعبادته.

﴿وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً﴾.

بيان لعلة الإعراض عن شكر الله تعالى بعد النجاة من المهالك، أن جنس الإنسان دأبه وديدنه جحود النعم، وقلة الشكر عليها؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾.[١]

---

١ – سورة سبأ: الآية/ ١٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً (٦٩)﴾.

يقول الله تعالى لهؤلاء الذين نجاهم الله تعالى من الغرق والهلاك في البحر: أفأمنتم أن يخسف الله بكم البر وقد نجاكم من الهلاك في البحر فأعرضتم عن شكره وآثرتم الكفر على الإيمان.

والخسف هُوَ تغييب الشيء فِي الأَرْض، وقيل: هُوَ ابتلاع الأَرْض إِيَّاه.

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً﴾.

أو يرسل عليكم ريحًا ذَات حجارة ترميكم بها، والحَصبُ في اللغة الرمي.

﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً﴾.

ثم لا تجدوا أحدًا تكلون إليه أموركم فهو يمنعكم من عذاب الله ويجيركم من بأسه.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ﴾.

أم أمنتم أيها الناس أن يعيدكم الله تعالى إلى البحر مرة أخرى ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ﴾، فيرسل الله تعالى عليكم ريحًا عاتية تكسر سفينتكم فيغرقكم بسبب كفركم بالله تعالى، والقاصف: الكاسر، يقال: قصف الشيء، إذا كسره، و (من) بيانية.

﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً﴾.

أي: ثم لا تجدوا لكم علينا أي ثائرا ولا طالبًا لكم بحق علينا، والتباعة: ما يتبع به الإنسان من غرامة.

أَكَلَتْ حنيفةُ رَبَّها ***** زَمَنَ التَقَحُّمِ والمجاعَةْ

لم يَحْذَروا مِنْ رَبِّهِمْ ***** سوءَ العواقبِ والتِباعَةْ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾. الآية/ ٧٠

يخبر الله تعالى أنه كرَّم بني آدم على كثير من الخلق بالعقل، والنطق، والتمييز، والخطِّ، والصورة الحسنة، وانتصاب القامة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ﴾، قال: جعلناهم يأكلون بأيديهم وسائر الخلق يأكلون بأفواههم.

﴿وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.

أي: ومن جملة ذلك التكريم أنا حملناهم في البر على ما سخرناه لهم من ظهور الدواب، وما هديناهم إلى من المركبات، وحملناهم في البحر على السفن.

﴿وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ﴾.

يعني من المطعومات الطيبة، والملابس الحسنة، وغيرها.

﴿وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾.

وفضلهم الله تعالى على كثير من الخلق بأن سخر لهم ما في السماوات والأرض، وجعل منهم الرسل والأنبياء، واختلف العلماء في تفضيل بني آدم على الملائكة على أقوال، منها:

أن عموم الملائكة أفضل من عموم البشر؛ لهذا الاستثناء في الآية؛ لما ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا

ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».[1]

وقال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم إلا على طائفة من الملائكة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم.

وقيل: الأنبياء والرسل أفضل من عموم الملائكة.

وقيل: عوام بني آدم أفضل من عوام الملائكة، ولفظ: (كثير)، يطلق ويراد به الكل؛ كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١- ٢٢٣]، أي: وكلهم كاذبون.

وعلى القولين الأخيرين فإن لفظ: ﴿بَنِي آدَمَ﴾، عام يراد به الخصوص، وهو المؤمنون.

وقوله: ﴿كَرَّمْنَا﴾، أبلغ من: أكرمنا؛ لأنه يقتضي التكرير والتكثير.

---

١ – رواه البخاري– كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، حديث رقم: ٧٤٠٥، ومسلم– كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم: ٢٦٧٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢)﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكر، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾، قال ابن عباس: بكتاب أعمالهم. ودليله قوله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[1]

وقال مجاهد وقتادة: أي بنبيهم. ودليله قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.[2]

﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

فمَن أُعطِيَ كتابَ عمله بيمينِه فقد فاز فوزًا عظيمًا، وسعد سعادة لا شقاء بعدها، ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ﴾، على الجمع العظيم في أرض المحشر لفرط سعادتهم ولا يظلمون شيئًا لو بمقدار الخيط الذي في شَقِّ النَّواة؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾.[3]

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾.

ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى لا يبصر آيات الله المبثوثة في الكون، الدالة على وحدانية الله تعالى وصدق الرسل، فهو في الآخرة أعمى فلا يهتدي في أرض المحشر ولا في المرور على الصراط، ولا يهتدي

---

١ - سورة الجاثية: الآية/ ٢٨

٢ - سورة يونس: الآية/ ٤٧

٣ - سورة الحاقة: الآية/ ١٩، ٢٠

لسبيل الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾.[1]

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

أي: وأضل سبيلًا منه حين كان في الدنيا، وقيل: وأضل سبيلًا من الأعمى.

---

١ - سورة الإسراء: الآية/ ٩٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧٤) إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً (٧٥)﴾.

يخبر الله تعالى عن حفظه لرسوله صلى الله عليه وسلم وتأييده له وتثبيته، وعصمته من كيد المشركين ومكرهم، وأنهم أرادوا فتنته فتولى الله تعالى أمره وأبطل كيدهم، ولا يثبت أبدًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركن إليهم، لا بقول ولا بفعل، وما روي من ذلك فإنه باطل لا يصح ولا يثبت منه شيء، والكلام في هذه الآية كالكلام في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والشرك محال في حقه صلى الله عليه وسلم لعصمته.

وغاية الكلام أن المشركين حاولوا جاهدين استمالة النبي صلى الله عليه وسلم ليوافقهم على شيء من مرادهم فثبته الله تعالى وعصمه؛ كما أرادوا أن يطرد المستضعفين الفقراء من مجلسه ليجلسوا إليه ويسمعوا منه فنهاه الله تعالى عن ذلك.

﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾.

بيان عناية الله تعالى به وحفظه من كيد المشركين، وأنه تعالى لم يكله إلى نفسه طرفة عين.

﴿إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً﴾.

أي: ولو ركنت إليهم لأذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، ولا يلزم منه أن الركون إليهم وارد منه بل هو محال كما تقدم لعصمته؛ قال تعالى عنه وعن إخوانه من الأنبياء والمرسلين: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيارِ﴾ [ص: ٤٧]، والاصطفاء ينافي الافتراء على الله تعالى، والركون إلى أعدائه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً (٧٧) أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (٧٨)﴾.

يقول الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كاد هؤلاء المشركون من أهل مكة ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾، عام المراد به الخصوص وهي مكة، ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْها﴾ مكرهًا، ﴿وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ﴾، لا يبقون بعد إخراجك، ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾، إلا زمنًا قليلًا، وقد وقع ما توعدهم الله تعالى به فهلك يوم بدر كبراؤهم وسادتهم بعد الهجرة.

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً﴾.

نصب لفظ سنة على أنه مصدر مؤكد؛ أي: سنَّ الله سُنّةً، وهو أن يُهلك كلَّ أمَّة أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم، وإضافة السنة للمرسَلين لأنها سنت من أجلهم، ﴿وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً﴾، تغييرًا.

﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾.

يقولُ الله تعالى لنبيِّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: أقمِ الصلاةَ يا محمدُ لدُلُوكِ الشمسِ، واختلف في المراد بدلوك الشمس، فقيل: دلوكُ الشمسِ مَيلُها للزّوالِ، والدُّلوك في كلامِ العربِ الميلُ، والشمس إذا زالَت عن كبِدِ السماءِ فقد مالَت للغروبِ؛ عن أبي بَرزَةَ الأَسلَميِّ قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾. قال: إذا زالَت.

وقال ابن عباسٍ: دُلوكُها زَوالُها، وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة وغيرهم.

وقيل: المراد بدُلوكِ الشمسِ هو وقتُ غروبِها؛ قال ابن عباسٍ: دلوكُ الشمسِ غُروبُها. يقولُ: دَلَكتْ بَراحِ. وهو قول ابن مسعود، وابن زيد.

والراجح أن دلوك الشمس هو ميلها عن كبد السماء وقت الزوال، وهذه الآية تنتظم الصلوات الخمس، فيدخل الظهر والعصر في دلوك الشمس، والمغرب والعشاء في غسق الليل، والفجر في قرآن الفجر.

عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾، قال: دلوكها حين ترفع عن بطن السماء ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾: صلاة المغرب، ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾، صلاة الفجر. قال قتادة: وأما قوله تعالى: ﴿كَانَ مَشْهُوداً﴾. فيقول: «ملائكة الليل، وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة».[١]

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾.

تشهده ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النَّهارِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، قَالَ: «تَشْهَدُهُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ».[٢]

وعَنْه رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ: مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ، كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ».[٣]

١ – رواه عبد الرزاق في تفسيره– رقم: ١٦٠٢

٢ – رواه الترمذي– أبواب تفسير القرآن، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم: ٣١٣٥، بسند صحيح

٣ – رواه البخاري– كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، حديث رقم: ٧٤٨٦، ومسلم– كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، حديث رقم: ٦٣٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً (٧٩)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها بقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الآية: ٧٨]، أمره هنا بالتهجد لله تعالى.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ومن الليل فقم للصلاة بين يدي الله بالقرآن بعد نومك يا محمد، بالقرآن، نافلة لك، والتهجد القيام ليلًا بعد النوم، وكان قيام الليل في أول الإسلام فريضة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ثم نسخ الله تعالى ذلك؛ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾. [الإنسان: ٢٦]، قَالَ: كَانَ هَذَا أَوَّلَ شَيْءٍ فَرِيضَةً. وَقَرَأَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ﴾. ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: مُحِيَ هَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ النَّاسِ، وَجَعَلَهُ نَافِلَةً فَقَالَ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، قَالَ: فَجَعَلَهَا نَافِلَةً.[١]

﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾.

قال ابن عباس: عسى من الله واجبة.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا يغبطك عليه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة الكبرى؛ عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١ – تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٤)

جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ».[١]

وعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الشَّفَاعَةُ».[٢]

وعَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾. قَالَ: الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ شَفَاعَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

١ – رواه البخاري– كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب: ﴿عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً﴾، حديث رقم: ٤٧١٨

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٠٢٠٠، بسند حسن

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً (٨٠) وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (٨١)﴾.

أي: وقل يا محمد صلى الله عليه وسلم: يا رب ﴿أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾؛ يعني: مدخله المدينة حين هاجر إليها، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾؛ يعني: مخرجه من مكة حين خرج منها مهاجرًا إلى المدينة.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾.[1]

وعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، سَلْ رَبَّكَ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الْمَدِينَةَ ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مِنْ مَكَّةَ، ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾، قَالَ: فَسَأَلَ رَبَّهُ بِقَوْلِ اللهِ تبارك وتعالى، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ".[2]

وذكر الصدق لمدح الإخراج؛ أي مدخل حسن جميل؛ كقوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٢]، فالصدق لمدح القدم.

﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾.

واجعل لي حجة بينة تنصرني بها على من خالفني، والنصير فعيل بمعنى مفعول أي: منصور.

﴿وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾.

أي: وقل لأصحابك مبشرًا لهم جاء الحقُّ وهو الدين الذي لا مرية فيه وهو الإسلام، ﴿وَزَهَقَ الْباطِلُ﴾؛ أي: وهلك الكفر وذهب، ﴿إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾، أي: لم يزل مضمحِلًّا، ولا قوة له أمام الحق.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٩٤٨، والترمذي- أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة بني إسرائيل، حديث رقم: ٣١٣٩، بسند ضعيف

٢ - رواه ابن المنذر في تفسيره- برقم: ٣٣٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاّ خَساراً (٨٢) وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً (٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً (٨٤)﴾.

يقول الله تعالى: وننزل من القرآن ما يستشفى به من أمراض القلوب من الشبهات والشهوات، والجهل والأحقاد، ومساوئ الأخلاق، وشفاء من علل الأبدان وأدوائها؛ وفي حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري أَنَّه قرأ على لديغ بفاتحة الكتاب، فقام كأنما نشط من عقال فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ».[١]

ومن هنا بيانية، فإن القرآن كله شفاء، وما موصولة.

﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وهو هدى ورحمة للمؤمنين وبركة لهم.

﴿وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاّ خَساراً﴾.

لأنهم إذا سمعوا آيات الله تعالى سخروا منها، وأعرضوا عنها، ويتجدد منهم التكذيب، فتلك زيادة الخسران؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.[٢]

﴿وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً﴾.

يقول تعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان بالرزق والذرية والخير نبتليه بذلك أعرض عن شكر نعم الله تعالى، ﴿وَنَأى بِجانِبِهِ﴾ وتباعد في إعراضه عن الله تعالى.

١ – رواه البخاري– كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، حديث رقم: ٢٢٧٦
٢ – سورة فصلت: الآية/ ٤٤

﴿وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً﴾.

وإذا ابتلاه الله تعالى بشيء من البلاء لم يصبر على قدر الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.[١]

والمراد بالإنسان هنا الكافر.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾.

أي: قُل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم كُلٌّ وحد منا ﴿يَعْمَلُ عَلَى شاكِلَتِهِ﴾؛ أي: على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً﴾.

أي: فربكم تعالى أعلم بحال الفريقين، من منهما على الهدى ومن في الضلالة، ويجازي كلَّ فريقٍ على عمله واعتقاده.

---

١ – سورة المعارج: الآية/ ١٩– ٢١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً (٨٥) وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلاً (٨٦) إِلاّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً (٨٧)﴾.

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعودٍ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَرْثٍ وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فَقَالُوا: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ: فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ: فَقُمْتُ مَكَانِي فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾».[1]

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ويسألك أهل الكتاب يا محمد صلى الله عليه وسلم عن الروح التي يَحيَى بها الحيوان: ما هي؟ قلْ لهم: الرُّوحُ مِن أمرِ ربى؛ أي: الروح مما استأثر الله بعلمه، لا علم لكم ولا لأحد من الخلق بها، وما أُوتيتُم أنتم وجميعُ الناسِ من العلمِ إلَّا قليلًا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الروح الذي سألوه عنه هو جبريل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، والراجح الأول.

١ - رواه البخاري- كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾، حديث رقم: ٤٧٢١، ومسلم- كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وقوله تعالى: {ويسألونك عن الروح} الآية، حديث رقم: ٢٧٩٤

﴿وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلاً﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ولو شئنا يا محمد صلى الله عليه وسلم، أن نجعلك تنسى القرآن، وأن نرفعه من الصدور لفعلنا، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلاً﴾؛ أي: ثم لا تجد من تتوكل عليه في رد شيء منه.

قال ابن مسعود: معنى ذهابه رفعه من صدور قارئيه.

﴿إِلاّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً﴾.

استثناء منقطع؛ أي: لكن رحمة من ربك وتفضلاً منه عليك، ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً﴾، ومن فضله عليك اصطفائه إياك لرسالته، وإنزال القرآن عليك.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً (٨٩) وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (٩٠)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين قالوا عن القرآن أساطير الأولين، وقالوا: ﴿إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]، وقالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، قل لهم: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾، عاقدين العزم ﴿عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾، ولو كان بعضهم لبعض معينًا.

وقد تحدى الله تعالى العرب وهم أرباب البلاغة، وأساطين الفصاحة أن يأتوا بمثل هذا القرآن فعجزوا، فتحداهم أن يأتوا بعشر سوره مثله مفتريات فعجزوا فتحاهم أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه فعجزوا.

قال مقاتل: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم تحداهم أولا، فقال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ [هود: ١٣]، فعجزوا عن ذلك، فتحداهم، فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، فعجزوا، فآيسهم الله عن معارضته بمثل ما أتى به في هذه الآية.[١]

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾.

صرفنا: أي: ذكرنا وبيَّنا، واللام في (لقد) هي الموطئة للقسم، وقد للتحقيق؛ أي: أقسم أننا قد ذكرنا وبيَّنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ليتقرر ويرسخ في نفوسهم، ﴿فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾. فأبى أكثر الناس إلا إعراضًا عن الحق، وجحودا له.

﴿وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾.

وقالوا عنادًا واستكبارًا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من أرض مكة عيونًا من الماء.

---

١ - التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٧)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً (٩٣)﴾.

قال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾، أو إن لم تفجر لنا من الأرض ينبوعًا، ﴿تكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾، أي: يكونَ لك بستانٌ من نخيلٍ وعِنَبٍ، والبستان يقال له جنة.

﴿فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً﴾.

وتشق فيها أنهارًا يتدفق الماء خلال الجنة لغزارته تدفقًا كبيرًا.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً﴾.

أو أن تسقط السماء علينا قطعًا كما زعمت يعنون قوله تعالى: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: ٩]، مبالغة في العناد، وإمعانًا في الإعراض.

﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً﴾.

كفيلًا على صدقك، وضمينا لصحة قولك، والقبيل: الكفيل.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من ذهب.

والزخرف الزينة والمزخرف: المزين؛ أي: أو يكون لك بيتًا مزيَّنًا بالذهب كبيوت الملوك.

﴿أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ﴾.

أو تصعد في السماء، ولن نؤمن لصعودك، حتى تنزل علينا كتابًا من الله نقرؤه؛ قال ابن عباس: كتابًا من عند رب العالمين إلى فلان وفلان، يصبح عند كل رجل منا يقرؤه.[1]

﴿قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً﴾.

أي: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿سُبْحانَ رَبِّي﴾، أنزه الله عما تقولونه، فما أنا إلا بشر أرسلني الله لأبلغكم رسالته إليكم وليس في قوى البشر أن يأتوا بها، بما تقترحونه.

١ – التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ١٢٨)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلاَّ أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً (٩٤) قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً (٩٥) قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (٩٦)﴾.

يقول الله تعالى: وما حال بين هؤلاء المشركين والإيمان بالله، وقد جاءهم الهدى من ربهم إلا ظنهم أن رسل الله لا يكونون من البشر، فقال متعجبين: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾؛ كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.[1]

﴿قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾

قال الله تعالى: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: لو كان عمار الأرض ملائكة لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولًا من جنسهم، ليفهموا كلامهم، ويتأسوا بهم.

﴿قُلْ كَفى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾

يقول الله تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذِّبين لك كفى بالله شهيدًا بيني وبينكم أني قد أبلغتكم رسالة ربي إليكم، وأنكم كذبتم وأعرضتم وعاندتم.

﴿إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾

خبيرًا بأحوالهم، بصيرًا بأفعالهم، وسيجازيهم عليها جزاءً وفاقًا.

١ - سورة يونس: الآية/ ٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً (٩٧) ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَقالُوا أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٩٨)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

لما أخبر الله تعالى أن سبب كفر من كفر من مشركي العرب أن الله تعالى أرسل إليهم رسولا من البشر، أخبر هنا أن الهداية بيد الله تعالى، فمن شاء وفقه للإيمان بفضله، ومن شاء أضله الله تعالى بعدله؛ ولا يتوقف الأمر على رؤية الدلائل والبراهين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ﴾.[١]

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ﴾.

يخبر الله تعالى أن المهتدي من وفقه الله تعالى للهداية، ومن يضلله الله تعالى فلن يجد له وليًّا من دون الله يهديه من الضلالة.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا﴾.

يقول تعالى: ونحشرهم يوم القيامة في غاية المهانة والذل يسحبون على وجوههم، حال كونهم عميًا لا يبصرون، وبكمًا لا يتكلمون، وصمًا لا يسمعون؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مُشَاةٌ، وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ، وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ!، وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟، قَالَ: "إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَرْجُلِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ".[٢]

---

١ – سورة يونس: الآية/ ٩٦، ٩٧

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٨٦٤٧، بسند حسن

﴿مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾.

مآلهم ومنقلبهم جهنم، كلما طفئت نارها زادها الله تعالى سعيرًا وتوقدًا، وقال ابن عباس كلما سكنت.

﴿ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَقالُوا أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾.

ذلك الجزاء جزاؤهم بسبب أنهم كفروا بآيات الله تعالى، وقالوا منكرين ومستبعدين البعث والنشور: ﴿أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاّ كُفُوراً (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً (١٠٠)﴾.

يقول الله تعالى أو يعلم هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث الذين قالوا: ﴿أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾، أو لم يعلموا قدرة الله تعالى الباهرة في خلق السماوات والأرض، فيستدلوا بما يرونه من الخلق على قدرة الله تعالى على خلق مثل تلك المخلوقات العظيمة، وهو أعظم في نفس السامع من إحياء الموتى.

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وجعل لهم أمدًا لا شك في مضيه تنتهي فيه أعمارهم بالموت، ثم يعرضون على ربهم للحساب والجزاء.

وأجل اسم جنس، قام مقام الآجال؛ لأن كل واحد منهم له أجل يختص به.

﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاّ كُفُوراً﴾.

فأبي هؤلاء المشركون الظالمون بعد رؤية الآيات وإقامة الحجة عليهم، إلا إعراضًا ونفورًا وكفرًا وتكذيبًا، ووضع الظاهر موضع المضمر لبيان علة كفرهم، وهو الظلم بعبادة غير الله تعالى.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: ومن دلائل قدرته تعالى رزق الخلائق جميعًا ولا رازق لهم إلا الله، قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم: لو أنتم تملكون خزائن رزق الله تعالى، والرحمة هنا معناها الرزق، إذا لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر، مع أنها لا تنفد.

﴿وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً﴾.

وكان الإنسان بخيلًا ممسكًا، جبل على الشح بأصل خلقته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً (١٠١) قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ بَصائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (١٠٢) فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (١٠٣) وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً (١٠٤)﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

قال الواحدي: وجه اتصال معنى هذه الآية بما قبلها أنه ذكر في هذه الآية إنكارَ فرعونَ آياتِ موسى مع وضوحها، فيكون في ذلك تشبيها لحال هؤلاء المشركين بحاله وتسلية للنبيّ صلى الله عليه وسلم.[١]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾.

يقول الله تعالى: ولقد آتينا موسى تسع آيات هي حجج وبراهين ومعجزات على صدقه، فلم يؤمنوا ولم ينقادوا لها، كما فعل قومك بك، فلا تحزن فإن لك فيمن سبقك من الرسل أسوة.

قال ابن عباس: التسع الآيات البينات؛ يده، وعصاه ولسانه، والبحر والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات.[٢]

﴿فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ﴾.

فاسأل علماءَ بني إسرائيل عن خبر موسى حين جاءَ أسلافَهم، وما كان من شأنه مع فرعون.

قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد ﴿فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾، الأولين الذين جاءهم موسى وتكون إحالته إياه على سؤالهم بطلب إخبارهم والنظر في أحوالهم وما في كتبهم نحو قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا﴾ [الزخرف: ٤٥] وهذا كما تقول لمن تعظه: سل الأمم الخالية هل بقي منها مخلد؟[٣]

١ – التفسير البسيط (١٣/ ٤٩٣)
٢ – تفسير الطبري (١٥/ ٩٩)
٣ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٨٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقيل: هو مفعول بمعنى فاعل كما في قوله تعالى: ﴿حِجاباً مَسْتُوراً﴾ [الإسراء: ٤٥]: أي: ساترًا.

﴿فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً﴾.

فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى قد أصبت بالسحر، فكلام غير مستقيم لأنك تعبد إلهًا غيري.

﴿قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ بَصائِرَ﴾.

فقال له موسى عليه السلام لقد علمت يا فرعون أنه ما أنزل هذه الآيات البينات، والبراهين القاطعات إلا رب السماوات والأرض أدلة على صدق ما جئتكم به، وكان فرعون لا يشك في صدق موسى عليه السلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾.[1]

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾.

وإني لأظنك يا فرعون هالكًا، والظن هنا معناه اليقين.

﴿فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْناهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾.

أي: فأراد فرعون أن يفزعهم ويزعجهم بما يحملهم على الهرب فيخرجهم من أرض مصر، فرقا منه، والأرض عام يراد به الخصوص، ﴿فَأَغْرَقْناهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾، فحاق به مكره، وأحاط به سوء تدبيره.

﴿وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾.

وقلنا من بعد إغراقه لبني إسرائيل اسكنوا الأرض، فتفرقوا في سائر بقاع الأرض.

﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً﴾.

فإذا جاء وعد الآخرة الذي قدره الله تعالى بعد إفسادهم في الأرض المذكور في قوله تعالى: ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً﴾، من شتى بقاع الأرض ليتحقق وعد الله بالقضاء عليهم بعد طغيانهم، وعلوهم في الأرض؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ

---

١ - سورة النمل: الآية/ ١٤

الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».[1]

١ – رواه البخاري– كتاب فضل الجهاد والسير، باب قتال اليهود، حديث رقم: ٢٩٢٦، ومسلم– كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم: ٢٩٢٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً (١٠٥) وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (١٠٩)﴾.

يقول الله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ أي: وبالحق الذي لا يشوبه باطل، والصدق الذي لا يخالطه كذب أنزلنا هذا القرآن.

الضمير في: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، عائد على القرآن المذكور في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الإسراء: ٨٩]، ويجوز أن يكون كلامًا مستأنفًا لشهرة القرآن، وأنه لا يلتبس على السامع، كما في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.[1]

﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾.

أي: ونزل مشتملًا على الحق في أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾.

وما أرسلناك إلا مبشرًا للمؤمنين المطيعين، ﴿وَنَذِيراً﴾؛ للعصاة المكذبين، وليس لك أن تكرههم على الإيمان.

﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: (وآتيناكَ قُرآناً فَرَقْناهُ)؛ أي: فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا؛ فعن ابن عباس قال: «فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ يُنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يُرَتِّلُهُ تَرْتِيلًا».[2]

---

١ – سورة القدر: الآية/ ١

٢ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ١٢٣٨١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقرأ أُبي وعبد الله بن مسعود وعلي وابن عباس: ﴿فرَّقْناهُ﴾، بالتشديد؛ أي: بيناه.

عن أبي العالية، قال: كان ابن عباس يقرؤها: ﴿وَقُرْآناً فَرَّقْناهُ﴾. مثقلة، يقول: أنزل آية آية.[1]

﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾.

أي: لتقرأه على الناس على تؤدة، وتمهل فترتله وتبينه ليفهم عنك، ولا تعجل في تلاوته.

﴿وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً﴾.

أي: وفرَّقنا تنزيلَه، فأنزلناه شيئًا بعدَ شيءٍ، في ثلاث وعشرين سنة.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا﴾.

يقول الله تعالى: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الكافرين المكذبين: ﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا﴾، فلن يزيده إيمانكم به، ولن ينقص قدره عدم إيمانكم فإنه حقٌّ، قد نوه الله بذكر في الكتب السابقة المنزلة على الرسل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً﴾.

وإن أهل العلم الصالحين من اليهود والنصارى إذا قرئ عليهم القرآن ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً﴾، خشوعًا لله تعالى وتصديقًا لكلامه، والخرور السقوط بسرعة، والأذقانُ: جمعُ ذقنٍ، وهو مجمعُ اللَّحيين.

قال الحسنُ في: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ﴾. قال: لِلّحى.[2]

قال ابن عباس وقتادة: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾. للوجوهِ.[3]

وقيل: اللام في قوله: ﴿لِلْأَذْقانِ﴾. بمعنى (على)، أي: على الأذقان؛ كقولهم: خرَّ على وجهه.

وقال الشاعر: فَخرَّ صَرِيعاً لليَدينِ وللْفَمِ

---

١ – تفسير الطبري (١٥/ ١١٥)

٢ – تفسير الطبري (١٥/ ١٢٠)

٣ – تفسير الطبري (١٥/ ١٢٠)

وقال الزمخشري: معناه: جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به، لأن اللام للاختصاص.

قلت ويحتمل أن يكون الفعل: (يخر) ضُمِّنَ معنى انتهاء السجود بوضع الأذقان على التراب؛ وتخصيص الأذقان بالذكر للدلالة على كمال الخشوع والتذلل، بتمكين الوجه بالأرض وتعفير اللحى بالتراب، وهذا أولى من القول بأن اللام في ﴿لِلْأَذْقانِ﴾ بمعنى (على).

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً﴾.

ويقولون: ﴿سُبْحانَ رَبِّنا﴾؛ أي: ننزه ربنا تعالى أن يعد وعدًا ثم يخلف وعده، وقد وعدنا في كتبه وعلى ألسنة رسله، أن يرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وينزل عليه كتابًا لا يمحوه الماء، ﴿إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً﴾؛ أي: لكائنًا متحققًا.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾.

تكرَّر السجود لاختلاف السَّبب، فإنَّ الأول للشكر عند تحقق وعد الله تعالى، والثَّاني لِمَا أثر فيهم من مواعظ القرآن، ﴿يَبْكُونَ﴾، أي: حال كونهم باكين لتأثرهم بما فيه من المواعظ، ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾، ويزيدهم سماع القرآن خوفًا وخضوعًا لله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.[١]

١ - سورة المائدة: الآية/ ٨٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً (١١١)﴾.

سبب نزول الآية:

روي ابن جرير عن ابن عباسٍ، قال: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم ساجدًا يدعو: "يا رحمنُ، يا رحيمُ". فقال المشركون: هذا يَزْعُمُ أنه يدعو واحدًا، وهو يدعو مثنى مثنَى. فأنزَل الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، الآية.[١]

وقال الواحدي: قال ابن عباس: تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة، فجعل يقول في سجوده: يا رحمن يا رحيم، فقال المشركون: كان محمد يدعو إلها واحدا فهو الآن يدعو إلهين اثنين: الله والرحمن، ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[٢]

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين ينكرون دعاء الله تعالى باسمه الرحمن: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، فبأيِّ اسم من أسمائِه دعوتموه فقد أحسنتم، ودعوتم الله، والله تعالى له الأسماء الحسنى؛ عن مجاهدٍ قولَه: ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾: بشيءٍ مِن أسمائِه.[٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».[٤]

---

١ – تفسير الطبري (١٥/ ١٢٤)

٢ – أسباب النزول (ص: ٢٩٤)

٣ – تفسير الطبري (١٥/ ١٢٤)

٤ – رواه البخاري– كتاب التوحيد، إن لله مائة اسم إلا واحدًا، حديث رقم: ٧٣٩٢، ومسلم–كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها، حديث رقم: ٢٦٧٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً﴾.

سبب نزول الآية:

اختلف في سبب نزول هذه الآية فقيل سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جهر بصلاته بين أهل مكة سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فأنزل الله تعالى هذه الآية يأمره بالتوسط في قراءة القرآن بين الجهر والإخفات ليسمع أصحابه، ولا يجهر بها حتى لا يسمع المشركون فيسبوا القرآن ومن أنزله؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ قَالَ: أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مُتَوَارٍ بِمَكَّةَ، فَكَانَ إِذَا رَفَعَ صَوْتَهُ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ، فَسَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾، لَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ حَتَّى يَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾ أَسْمِعْهُمْ وَلَا تَجْهَرْ، حَتَّى يَأْخُذُوا عَنْكَ الْقُرْآنَ».[1]

ويشهد لقول ابن عباس ما ورد عن محمدِ بن سيرينَ، قال: نُبِّئْتُ أن أبا بكرٍ كان إذا صلَّى فقرَأ، خفَض صوتَه، وأَنَّ عمرَ كان يَرْفَعُ صوتَه. قال: فقيل لأبي بكرٍ: لم تَصْنَعُ هذا؟ فقال: أُناجي ربي، وقد علِم حاجتي. قيل: أحْسَنْتَ. وقيل لعمرَ: لم تَصْنَعُ هذا؟ قال: أطرُدُ الشيطانَ، وأُوقِظُ الوَسْنانَ. قيل: أحْسَنْتَ. فلما نزَلت: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً﴾. قيل لأبي بكرٍ: ارفَعْ شيئًا. وقيل لعمرَ: اخفِضْ شيئًا.[2]

وقيل نزل هذه الآية في الدعاء؛ فعن عائشةَ في قولِه: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾، قالت: نزَلت في الدعاءِ.[3]

---

١ – رواه البخاري–كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾، حديث رقم: ٧٤٩٠، ومسلم– كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة، حديث رقم: ٤٤٦

٢ – رواه سعيد بن منصور في التفسير– حديث رقم: ١٣٢٥، وابن جرير (١٥/ ١٣٢)

٣ – رواه البخاري–كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، حديث رقم: ٦٣٢٧، ومسلم–كتاب الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار إذا خاف من الجهر مفسدة، حديث رقم: ٤٤٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يعني بدعائك، وتطلق الصلاة ويراد بها الدعاء؛ كما في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي: وادع لهم إن دعاءك سكن لهم.

ويشهد لقول عائشة رضي الله عنها قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.[١]

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾، أمره الله تعالى أن يحمده على وحدانيته، وكمال غناه عن الخلق.

﴿الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾.

لأن السعي لتحصيل الولد إنما يكون ليتعزز به، أو لطلب نفعه ومعونته عند الضعف والكبر، والله تعالى غني عن العالمين، ولما كان اتخاذ الولد دليل النقص والحاجة قال الله تعالى: ﴿مَا كانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحانَهُ إِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[٢]

ونزه نفسه عن اتخاذ الولد فقال: ﴿لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشاءُ سُبْحانَهُ هُوَ اللَّهُ الْواحِدُ الْقَهَّارُ﴾.[٣]

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾.

ولم يكن لأحدٍ في الكون مثقال ذرة يزعم أنه خلقها، بل الله خالق الخلق، ومالك الملك.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾.

ولم يكن له ظهير ولا نصير ولا من يتولى أمره يعتز به من الذل.

---

١ – سورة الأعراف: الآية/ ٥٥

٢ – سورة مريم: الآية/ ٣٥

٣ – سورة الزمر: الآية/ ٤

وقيل: معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل.

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾.

أي: وعظِّمه تعظيمًا يليق بجلاله، حتى لا يكون في قلبك شيءٌ أعظمَ ولا أجلَّ منه.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ وَما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلاّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]، فنفى الملك عن كل من سوى الله تعالى ولو بقدر مثقال ذرة، ونفى ما دون الملك، وهو أن يكون لأحد مع الله تعالى شرك ولو في أقل شيء، ونفى أن يكون له من خلقه معين ونصير، ونفى أن يكون لأحد عنده شفاعة إلا بإذنه تعالى.

آخر تفسير سورة الإسراء ولله الحمد والمنة.

تفسير سورة الكهف

سورة الكهف مكية.

وسميت بذلك لورود ذكر الكهف فيها.

فضل سورة الكهف:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».[١]

وعن أبي سعيدٍ الخدريّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ النُّورُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ».[٢]

سبب نزول السورة:

روى ابن أسحاق وابن جرير عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله؛ فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء. فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا. قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم؛ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟

---

١ – رواه مسلم– كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، حديث رقم: ٨٠٩

٢ – رواه سعيد بن منصور– حديث رقم: ١٣٦٨، والدارمي– من كتاب فضائل القرآن، باب: في فضل سورة الكهف، حديث رقم: ٣٤٥٠، والبيهقي في السنن الصغرى– كتاب فضائل القرآن، باب تخصيص سورة الكهف بالذكر، حديث رقم: ٩٦٧، وصححه الألباني

وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور. فأخبروهم بها، فجاءوا رسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد، أخبرنا. فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أخبركم غدا بما سألتم عنه". ولم يستثن. فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه. وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبريل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف، وقول الله عز وجل: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ [الإسراء: ٨٥]. قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح السورة فقال: ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾. يعني محمدًا، إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوته، ﴿ولم يجعل له عوجا قيما﴾. أي: معتدلا، لا اختلاف فيه.[١]

بين يدي السورة:

افتتح الله تعالى سورة الكهف بالحمد، وهي إحدى سور خمس افتتحها الله تعالى بالحمد وهي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، وشأن سورة الكهف شأن السور المكية التي نزل لإرساء قواعد الاعتقاد، وتثبيت دعائمه؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ [الآية: ٤]، وقد اشتملت هذه السورة الكريمة على قصص أربع سيقت كلها لترسيخ توحيد الله تعالى في النفوس، والتحذير من الشرك بالله تعالى، أولها قصة أصحاب الكهف والرقيم، الذين فروا بدينهم من قومهم الوثنين، وآثروا شظف العيش مع التوحيد، على رغد العيش مع الشرك وعبادة الأوثان، ﴿إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً﴾ [الآية: ١٤]، والثانية قصة صاحب الجنتين، وقد أغدق الله تعالى

١ - سيرة ابن هشام (١/ ٢٦٦)، وتفسير الطبري (١٥/ ١٤٣)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عليه من صنوف النعم، فجحد نعمة الله تعالى عليه، وآثر الكفر على الإيمان، وظن أنما أعطاه الله ما أعطاه من النعم لكرامته عليه، ولما ذكر بنعم الله تعالى لم يتذكر، ولما حذره صاحبه أسباب سخط الله تعالى لج في غيه، وضلاله؛ ﴿قالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً (٣٥) وما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً﴾ [الآية: ٣٤، ٣٥]، ولما كان هذا حال كثير من الناس الذين آثروا الكفر على الإيمان وغرتهم الحياة الدنيا، ضرب الله تعالى لهذه الحياة مثلًا يبين ضآلتها وسرعة زوالها فقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ﴾ [الآية: ٤٥]، ثم ذكر شيئًا من أهوال الآخرة ليستفيق الغافل من غفلته، ويسعى كل إنسان في فكاك رقبته والأخذ بأسباب النجاة في ذلك اليوم.

ثم ذكر الله تعالى قصة موسى والخضر عليهما السلام، وهي من أعجب القصص ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ [الآية: ٦٠]، لاشتمالها على أمور من الغيب كشفها الله تعالى للخضر عليه السلام، وخفيت على موسى عليه السلام على علو شأنه وارتفاع منزلته عند الله تعالى، وليعلم العباد أن فوق كل ذي علم عليم، وأن أقدار الله تعالى تجري وفق إرادته القاهرة، وحكمته البالغة ﴿وما فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ [الآية: ٨٢].

ثم ذكر الله تعالى قصة ذي القرنين ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾ [الآية: ٨٣]، وكيف مكنه الله تعالى في الأرض وآتاه من كل شيء سببًا يتوصل به إلى مراده، حتى دانت له مشارق الأرض ومغاربها، وحكم العباد بشريعة الله تعالى، فجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وآتاه الله تعالى من القوة ما مكنه من بناء سد يأجوج مأجوج، ثم ختم الله تعالى السورة ببيان حال أصحاب الجحيم وما ينتظرهم من العذاب والنكال في الآخرة ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾ [الآية: ١٠٣]، وبيان حال المؤمنين الطائعين، وما لهم عند الله تعالى من النعيم المقيم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الآية: ١٠٧]، ثم ذكر الله تعالى صفة من صفاته العظيمة لعباده صفة الكلام وأنها لا نفاد لها ولو كان البحر مداد تكتب به كلمات الله تعالى فقال: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الآية: ١٠٩]، ثم رد العجز على الصدر فقا لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ فَمَنْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الآية: ١٠٩]، فختم السورة بتقرير الوحي كما بدأها به، وتوحيد الله تعالى كما بدأها به، وتقير البعث والنشور كما ذكره في ثنايا السورة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (١) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (٢) ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً (٥)﴾.

أثنى الله تعالى على نفسه بإنزال القرآن هدى للناس، وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر؛ لأنَّ اختياره للرسالة وإنزال الكتب أجل نعمة أنعم بها عليه، فإنزال الكتاب نعمة خاصة للرسول ونعمة عامة للناس جميعًا، والألف واللام في الكتاب للعهد، والمراد به القرآن.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾.

أي: ولم يجعل الله تعالى فيه تناقضًا، ولا اختلافًا، ولا ميلًا عن الحق ولا اضطرابًا، بل بعضه يصدق بعضًا؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾.[١]

والعوج عدم الاستقامة.

﴿قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ﴾.

أي: مستقيمًا، وفي الكلام تقديم وتأخير تقديره: أنزل الله القرآن قيمًا ولم يجعل له عوجًا؛ عن قتادةَ في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا﴾. قال: أنزل اللهُ الكتابَ قيمًا، ولم يَجْعلْ له عِوَجًا.[٢]

١ – سورة النساء: الآية/ ٨٢

٢ – تفسير الطبري (١٥/ ١٤١)

لينذر الكفار ببأس شديد من عند الله تعالى إذا آثروا الكفر على الإيمان، وقوله: ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾، ليلقي الروع في قلوب أولئك الكفار الذين أشركوا بالله تعالى.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾.

أي: ويبشر من آمن به وعمل الصالحات بأجر جميل، وثواب جزيل عند ربهم.

﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾.

أي: خالدين فيه أبدًا، لا يزول عنهم، ولا يبغون عنه تحولًا إلى غيره.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾.

أي: وينذر من نسب لله تعالى الولد؛ كاليهود الذين قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والنصارى الذين قالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والمشركين الذين قالوا: الملائكة بنات الله. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ويدخل في ذلك من كان على شاكلتهم، وخصهم بالذكر لشناعة قولهم.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ﴾.

ما للذين قالوا هذا القول يعني: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾، ما لهم به أي: علم ولو كان أدنى ما يطلق عليه علم، ﴿وَلا لِآبَائِهِمْ﴾، ولا لآبائهم الذين قلدوهم، إنما هو جهل محض وافتراء على الله تعالى، وتخرص منهم.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾.

أي: عظمت كلمةً، يقال: كبر الشيء إذا عظم، يعني قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾؛ لأنها سب لله تعالى، وفيه معنى التعجُّب، كأنه قال: ما أكبرَ هذه الكلمة. و﴿كَلِمَةً﴾، نُصِبَ على التمييز، وتقديره: كبرت كلمتهم هذه كلمة؛ كما تقول: نعم رجلاً زيدٌ.

وقيل: نصب على التعجب، تقديره: أعظم بكلمتهم كلمة، كما تقول: أكرم بزيد رجلاً.

﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾، أي: يقولونها بألسنتهم، والمراد: كيف تجرؤوا على إخراجها من أفواههم، على شناعتها وبشاعتها؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً﴾.

(إن) نافية، أي: ما يقولون ذلك إلا كذبًا، وافتراءً على الله تعالى.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً (٦) إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾. الآية/ ٦، ٧

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾. أي: مهلكٌ نفسك يا محمدُ ﴿أَسَفاً﴾؛ أي: حزنًا على آثارِ قومِك لكفرهم بالله وعدم إيمانهم بالقرآن، وتكذيبهم لك وقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، وكان صلى الله عليه وسلم حريصًا شديد الحرص على إيمانهم، يكاد يقتله الحزن على كفرهم؛ كما قال الله تعالى له: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ﴾.[1]

عن قتادةَ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾. يقولُ: قاتلٌ نفسَك.[2]

﴿عَلى آثارِهِمْ﴾.

أي: بعد توليهم وإعراضهم عنك.

قال صاحب الكشاف: شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدًا عليهم وتلهفًا على فراقهم.

١ – سورة فاطر: الآية/ ٨

٢ – تفسير الطبري (١٥/ ١٤٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾.

الأسف من الألفاظ المشتركة يطلق ويراد به الغضب؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، قال مجاهد: ﴿آسَفُونا﴾، يعني: أغضبونا. ويطلق ويراد به المبالغة في الحزن؛ كما في هذه الآية، وكما في قول يعقوب عليه السلام: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾.[١]

عن قتادةَ في قولِه: ﴿أَسَفاً﴾. قال: حُزْنًا عليهم.[٢]

﴿إِنَّا جَعَلْنا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾.

يقول تعالى: إنا جعلنا ما على الأرض من زخارف الدنيا كالحدائق الغنَّاء والبحار والأنهار والذهب والفضة والثمار والحيوان زينة لها.

﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

لنختبرهم أيهم أشد إخلاصًا وأصوب عملًا، وقال الحسن: (أيّهم أزهد في الدّنيا وأترك لها).

---

١ – سورة يوسف: الآية/ ٨٤

٢ – تفسير الطبري (١٥/ ١٥٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً (١٠) فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (١١) ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً (١٢)﴾.

الصعيد: المستوي من الأرض، والجزر: التي لا نبات فِيها، يقول الله تعالى: وإنا لَمُصيِّرون ما على الأرض من هذه الزينة صَعِيدًا؛ أي: أرضًا خربة مستوية ليس عليها إلا التراب، جُرُزاً، جرداءَ لا نبات فيها.

وقال مجاهد: ﴿صَعِيداً جُرُزاً﴾، بلقعًا. وقال قتادة: الصعيد: الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾، يا محمد ﴿أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾، أي: ليس أمرهم عجيبًا في قدرة الله تعالى، فإن في الخلق ما هو أعجب من ذلك بكثير. قال مجاهد في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾. يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك!

والكهفُ: الغارُ، والرَّقيمُ اسمُ الوادي الذي فيه الغار.

عن ابن عباسٍ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾. قال: الرَّقِيمُ: وادٍ بين عُسفانَ وأَيلة دون فلسطِينَ، وهو قريبٌ من أَيلة.

وقال سعيدُ بن جبيرٍ: الرَّقيمُ لوحٌ من حجارةٍ كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف، ثم وضعوه على باب الكهف.

عن ابن عباس قال: كل القرآن أعلمه إلا أربعة: غسلين، وحنان، والأواه، والرقيم.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾.

أي: اذكر حين أَوَى الفتيَةُ الذين نَقُصُّ عليك نبأهم إلى الكهف، هربًا بدينهم من ظلم قومهم الوثنين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً﴾.

يخبر الله تعالى أنهم لما هربوا بدينهم من قومهم اشتغلوا بالتضرع إلى الله تعالى بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً﴾، أي: ربنا أفض علينا رحمة من عندك، واجعل أمرنا رشدًا كله.

﴿فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾.

أي: ألقينا عليهم النوم حين دخلوا إلى الكهف، فناموا سنين كثيرة.

﴿ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً﴾.

أي: ثم أي أيقظناهم من رقدتهم تلك إيقاظا يشبه بعث الموتى، ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً﴾؛ أيُّ المختلفين في مدة لبثهم، أشدُّ إحصاءً، وضبطًا لمدة لبثهم في الكهف.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً (١٤) هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً (١٥)﴾.

يقول الله تعالى لنبيّه محمدٍ صلى الله عليه وسلم: نحن نَقُصُّ عليك خبر هؤلاء الفتية الأحداث الشباب، الذين أَوَوْا إلى الكهفِ، بالصدق واليقين الذي لا شكَّ فيه.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾.

إنهم شباب آمنوا بالله تعالى ربًّا، وزدناهم إيمانًا ويقينًا.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهاً﴾.

أي: شددنا عزمهم وقوينا قلوبهم فلم يهابوا أحدًا، ولم يخشوا في الله تعالى سطوة قومهم، حين قاموا أمام قومهم يجهرون بتوحيد الله تعالى ونبذ عبادة الأوثان، ويقابل الربط القلق والاضطراب، فقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلَهاً﴾، ربنا خالق السماوات والأرض والمعبود بحق فيهما لن نعبد من دونه إلها غيره.

﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾.

أي: إن دعونا إلهًا غيره نكون قد قلنا قولًا بعيدًا عن الحق غاية البعد، ووقعنا في أعظم الظلم، والشطط: وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، والشَطَطُ: مجاوزةُ القدرِ في كلّ شيء.

﴿هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾.

ثم أخبروا عن قومهم واعتقادهم لبيان ما هم عليه من الباطل، وسوء الاعتقاد؛ أنهم اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم من دون الله تعالى، تعجيبًا من شأنهم وإنكارًا لحالهم.

﴿لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾.

(لولا) حرف تحضيض، فيه معنى الإنكار، ومعناه: هلاَّ؛ أي: هلَّا أقاموا على صحة ألوهية تلك الأوثان دليًا واضحًا، وأتوا بحجة ظاهرة!

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾.

سؤال الغرض منه الإنكار؛ أي: لا أظلم ممن افترى على الله كذبًا فزعم أن له شريكًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وما يَعْبُدُونَ إِلاّ اللّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (١٦) وَترَى الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ تزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَإِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللّهِ مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً (١٧)﴾.

يخبر الله تعالى عما قاله الفتية بعضهم لبعض حين فارقوا قومهم: وإذ اعتزلتم قومكم وما يعبدون من دون الله، يعنون بذلك: أوثانهم، وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعًا.

وروى ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ إِلاّ اللّهَ﴾. قال هي في مصحف ابن مسعود: وما يعبدون من دون الله، فهذا تفسيرها.[1]

ويحتمل أن يكون الاستثناء متصلًا، وأنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى، فاعتزلوا عبادة الأوثان ولم يعتزلوا عبادة الله؛ قال عطاء الخرساني: كان قوم الفتية يعبدون الله ويعبدون معه آلهة شتى، فاعتزلت الفتية عبادة تلك الآلهة ولم تعتزل عبادة الله.[2]

﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً﴾.

أي: وإذ فارقتم قومَكم وآلهتهم فالجأوا إلى الكهف وتوكلوا على ربكم يبسط لكم من رحمته ما يستركم عن أعين قومكم، ويقدر لكم ما تنتفعون به.

﴿وَترَى الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ تزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ﴾.

﴿وَترَى﴾، الخطاب للنَّبِيّ صلى الله عليه وسلم، أو لكلِّ أحد، ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ﴾، أصل تزاور تتزاور؛ أي: تميل وتعدل عن كهفهم جهة اليمين.

١ – رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٢٧٣٠

٢ – رواه ابن أبي حاتم- رقم: ١٢٧٢٩

﴿وَإِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ﴾.

وإذا غربت تجاوزهم، وتعدل عنهم جهة الشمال، قال الخليل: تقول: قرضته يمنة ويسرة، إذا عدلت عن شيء في سيرك، أي تركته عن اليمين وعن الشمال.[1]

وقوله في طلوع الشمس: ﴿تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾، وفي غروبهم: ﴿تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ﴾، بيان أن الشمس كانت تدخل إلى الكهف عند الغروب لكن لا تصيبهم لئلا يتأذوا بحرارتها.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

أي: وهم في متَّسع من الكهف، يدخل إليهم الهواء، ولا يراهم مَن كان ببابه، ولا يؤذيهم ضيق الكهف.

﴿ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ﴾.

ذلك الذي حدث لهم في الكهف آية من آيات الله الدالة على قدرته وعنايته بأوليائه.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً﴾.

من يوفقه الله تعالى للهداية فهو الفائز، ومن يضلل فلن تجد من يتولى أمره ويرشده من دون الله تعالى.

---

١ - العين (٥/ ٥٠)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (١٨) وَكَذلِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَسائَلُوا بَيْنَهُمْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (١٩)﴾.

يقول الله تعالى: وتحسبهم يا محمد صلى الله عليه وسلم أو أيها الناظر إليهم أيقاظًا، والأيقاظ جمع يقظ ويقظان، ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾، جمع راقد؛ أي: وهم نائمون.

قال الكلبي: إنما يحسبون أيقاظا لأن أعينهم مفتحة وهم نيام.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ﴾.

جعلناهم يتقلَّبون يمينًا وشمالًا، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ولو لم يُقلَّبوا لأكلتهم الأرض.

﴿وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

وكلبهم قد افترش ذراعيه كافتراش السبع، ﴿بِالْوَصِيدِ﴾، بفناء الكهف، قيل: كان الكلب لأحدهم فتبع صاحبه.

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾

لو أشرفت عليهم لأدبرت على عقبيك وفررت منهم وقد امتلأ قلبك فزعًا ورعبًا من حالهم.

﴿وَكَذلِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَسائَلُوا بَيْنَهُمْ﴾.

البعثُ: التَّحريك عن سكون، وكل شيء أثرته فقد بعثته، أي: وكما أرقدناهم أيقظناهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين، وأبدانهم صحيحة، ولم يتغير من هيئاتهم شيْء، ليتساءلوا بينهم عن حالهم وما جرى لهم.

﴿قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

أي: قال أحدهم متسائلًا كم مكثتم في الكهف نائمين؛ قالوا مكثنا يومًا أو بعض يوم، قيل: دخلوا الكهف في أوّل النّهار فنظروا حين استيقظوا فإذا هو آخرُه، وأسند الجواب إليهم جميعًا لأنهم تواطؤوا عليه، أو قال بعضهم: لبثنا يومًا، وقال بعضهم: لبثنا بعض يوم.

﴿قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ﴾.

أحالوا العلم بما لبثوا لله تعالى لما اختلفوا في تعيين المدة.

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾.

قاموا من نومهم جائعين فقالوا: ابعثوا واحدًا منكم ﴿بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، الوَرِق: الفضة؛ أي: بفضتهم إلى المدينة التي خرجتم منها، والألف واللام في المدينة للعهد، ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾، فلينظر أي الطعام أفضل، فليأتكم منه ما تأكلونه.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾.

وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يفطن له أحدٌ، وليتخفى حتى لا يعلم بمكانكم أحدٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (٢٠) وَكَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً (٢١)﴾.

قالوا إنهم يعني الملك وأعوانه إن يعلموا بمكانكم، يقتلوكم بالرجم، وهو من أخبث القتل، أو يرغموكم على الكفر والرجوع إلى ملتهم، ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾، إذا ارتددتم عن دينكم ورجعتم إلى ملتهم.

﴿وَكَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها﴾.

يقول الله تعالى: وكما بعثناهم بعد طول الرقاد، فقاموا كهيئتهم حين رقدوا، ﴿أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أطلعنا عليهم، مَنْ كان ينكر البعث في زمانهم ﴿لِيَعْلَمُوا﴾، يعني: الذين أطلعناهم عليهم أن وعد الله حق في البعث والحساب والجزاء، وأن الساعة قائمة لا شك في قيامها.

﴿إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: واذكر إذ كانوا يتنازعون بينهم أمر الفتية حين ماتوا بعد أن أطلع الله تعالى الناس على حالهم، فانقسموا فيهم إلى فريقين فقالت طائفة منهم: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾.

﴿قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾.

وقالت طائفة وهم أصحاب النفوذ الذين كانت لهم الغلبة: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾، أي: لنبنين على قبورهم مسجدًا نصلي فيه ونتبرك بهم، والظاهر أن الله تعالى ذكر الذين قالوا ذلك في معرض الذم، إذ لا مستند لهم في ذلك ولا حجة، إلا القوة والنفوذ والسلطان، ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عَائِشَةَ وَابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالَا: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطْرَحُ

خَمِيصَةً عَلَى وَجْهِهِ فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا».[1]

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (٢٢)﴾.

يخبر الله تعالى عن اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في عدة أهل الكهف، وأنهم ليسوا على يقين من عدد وأن منهم من سيقول: كان أهل الكهف ثلاثة رابعهم كلبهم، ومنهم من سيقول: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾؛ قذفًا بالظنِّ، وتخمينًا بلا تثبت، وأن منهم من سيقول: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، وإذا كانوا لا يعلمون عددهم بطريق يقيني، فهم لا يعلمون أسماءهم من باب أولى، وإذا كان علمهم مجرد ظن فليس لهم أن يمتحنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وسؤاله عنهم، ومجادلته فيهم.

ولما قدم وفد نصارى نجران على النبي صلى الله عليه وسلم، جرى ذكر أصحاب الكهف، فقالت اليعقوبية منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال آخرون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

وقد أطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على عدتهم حين ضَعَّف القولين الأولين بقوله: ﴿رَجْماً بِالْغَيْبِ﴾، وسكت عن القول الثالث فدل على إقراره وصحته.

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.

أي: قل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم ربي أعلم بعدتهم، فأمره بترك المجادلة لأنهم لا علم لهم.

---

١ - رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: ٣٤٥٣، ٣٤٥٤، ومسلم- كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، حديث رقم: ٥٣١

وكان عبد الله بن عباس يقول: أنا من القليل الذي استثنى الله، عز وجل، كانوا سبعة.

وكان عطاء الخراساني يقول: أنا ممن استثنى الله، ويقول: عدتهم سبعة.

﴿فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلاّ مِراءً ظاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾.

أي: لا تجادل في شأنهم أحدًا، ولكن أخبرهم بما أوحاه الله إليك، فإنه لا يترتب على تعيين عددهم كبير فائدة، ﴿وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾، فليس عندهم من العلم بهم إلا الظن والتخمين، وورد النهي عن سؤالهم لأنه روي أنه سأل نصارى نجران عنهم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً (٢٣) إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وَقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً (٢٤)﴾.

سبب نزول الآية:

سبب نزولها أن قريشًا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، وعن الروح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غدًا أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يومًا لتركه الاستثناء، فشق ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية.

يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: لا تقولن لشيء تريد فعله إني فاعل ذلك غدا على وجه الجزم، إلا مقرونًا بمشيئة الله تعالى، كما قلت للذين سألوك عن أصحاب الكهف: "أخبركم غدا بما سألتم عنه"، فإنه لا يقع شيء في الكون إلا بمشيئة الله تعالى، والخطاب تأديب للرسول صلى الله عليه وسلم ولأمته تبعًا له.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ﴾.

وإذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فاستثن؛ قال الحسن: إذا ذكر أنه لم يقل: إن شاء الله. فليقل: إن شاء الله.

فإذا كان قد حلف على فعل أمر أو تركه فهل له أن يستثني بعد مدة من الحلف؟

جمهور العلماء على أن الاستثناء لا يصح إلا متصلًا بالحلف؛ لما رواه أحمد والترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ».[1]

وأجاز ابن عباس الاستثناء ولو بعد سنة، واستدل بقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ﴾، والصحيح قول الجمهور؛ فإن الله تعالى قال لأيوب عليه السلام حين حلف أن يضرب امرأته مائة ضربة: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤]، ولو جاز الاستثناء، بعد مدة لقال الله تعالى له: استثن.

وقيل: مراد ابن عباس أنه إذا نسي الاستثناء ثم تذكّر ولو بعد زمن طويل فإنَّه يقول: إن شاء الله؛ ليخرج بذلك من عهدة عدم التعليق بالمشيئة، ويكون قد فوض الأمر إلى من لا يقع إلَّا بمشيئته. فنتيجة هذا الاستثناء: هي الخروج من عهدة تركه الموجب للعتاب السابق، لا أنَّه يحل اليمين لأنَّ تداركها قد فات بالانفصال.

﴿وَقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً﴾.

أي: إذا نسيت الاستثناء فاذكر ربك بالاستغفار، وقل: عسى ربى أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رَشَدًا وأدنى خيرًا ومنفعة.

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٨٨٠٨، والترمذي–أبواب النذور والأيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في الاستثناء في اليمين، حديث رقم: ١٦١٢، بسند صحيح

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (٢٦)﴾.

قيل: هذا خبر عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك، بدليل قوله الله تعالى بعده: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، عن قتادة قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾: هذا قول أهل الكتاب، فرده الله عليهم فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

والصحيح أنه خبر من الله تعالى عن مقدر لبثهم في الكهف؛ لعدم تقدُّم حكاية قولٍ لأهل الكتاب، وهذا قول مجاهد قال في هذه الآية: (هو عدد ما لبثوا)، وهو قول الضحاك واختاره كثير من المفسرين كابن جرير والزجاج وابن قتيبة والواحدي والبغوي وابن عطية وابن كثير وغيرهم.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾، بعد قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً﴾ على تقدير محذوف، كأن قائلاً قال: ولكن أهل الكتاب يزعمون غير ذلك فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾، ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: لا يعلم غيب السماوات والأرض غير الله، وتقديم الجار والمجرور للاختصاص، وهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى؛ كما قال: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾.[١]

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾.

هذا تعجيب من كمال صفات الله تعالى؛ أي: ما أبصَره وما أسمعَه بخلقه وبما يكون منهم! وهو مبالغةٌ في وصفه بالسمع والبصر.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾.

ليس للخلق جميعًا من دون الله من ناصرٍ يتولى أمورهم، ولا يشرك الله فِي حُكمِهِ أحدًا من خلقه.

---

١ - سورة النمل: الآية/ ٦٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (٢٨)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ﴾؛ والتلاوة تأتي في القرآن بمعنى: بمعنى القراءة؛ كما في قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٤٤]، وتأتي بمعنى: الاتباع؛ كما في قوله: ﴿والقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس: ٢]، ولا مانع أن يكون المراد هنا المعنيان معًا، فيكون المعنى: اقرأ واتبع ما أوحي إليك من كتاب ربك، ولا تسمع لقولهم: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾.[1]

﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾.

لا مغير لكلمات الله، ولن تجد من دون الله ملجأ تلجأ إليه إن أصابك منه ضرٌ أو نزلت بك نازلة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.[2]

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

واحبس نفسك حبس ملازمة وثبِّتها مع المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، يبتغون بذلك رضوان الله تعالى.

﴿وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ﴾.

أي: لا تَصرف عيناك النَّظرَ عنهم، ولا تجاوزهم إلى غيرهم، يقال: عدَوْتُه عن الأمر: إذا صرفته عنه، وعدي الفعل ﴿تَعْدُ﴾، بـ (عن)؛ لأنه ضمِّن معنى (نبا) يقال: نبا الشيء عنه ينبو؛ أي: تجافى وتباعد.

١ – سورة يونس: الآية/ ١٥

٢ – سورة المائدة: الآية/ ٦٧

﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾.

أي: تطلب مجالسة الأشراف والأغنياء وأصحاب الدنيا.

﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾.

أي: ولا تطع من جعلنا قلبه غافلًا عن ذكرنا، ﴿وَاتَّبَعَ هَواهُ﴾، أي: آثر مراده وما يجب على الإيمان بالله تعالى، ﴿وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾، وكان أمره تفريطًا في جنب الله، وتضيعًا لأوامره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ نارًا أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً (٢٩)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا واتبعوا أهواءهم: ما جئتكم به هو الحق من ربكم.

﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

أي: فليَختَرِ كل امرئ لنفسه ما يشاء من الإيمان به أو الكفر به، وليس هذا تخييرًا لهم بين الإيمان والكفر، بل هو تهديد ووعيد لمن آثر الكفر على الإيمان، بعد إقامة الحجة، ووضوح البرهان، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».[١]

﴿إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ نارًا أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾.

أي: إنا أَعدَدنَا من الإعداد وهيَّأنا لمن ظلم نفسَه فكفَر بالله نارًا عظيمة، ﴿أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾، أي: أحاط بهم سورها، فلا رجاء لهم في الخروج منها، قال الزجاج: السرادق كل ما أحاط بشيء.

قال ابن عباس: ﴿أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها﴾ قال: حائط من نار.

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾.

يقول تعالى: وإن يستغيثوا في النار من شدة حرها، يغاثوا على سبيل التهكم بهم ﴿بِماءٍ كَالْمُهْلِ﴾، بماء غليظ مثل دردي الزيت، من قيح وصديد أهل النار، قد بلغ الغاية في حرارته، إذا قربه الكافر ليشرب منه سقطت فروة وجهه فيه من شدة حرارته؛ عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿كَالْمُهْلِ﴾، كَعَكَرِ الزَّيْتِ، فإذا قُرِّبَ إِلَيْهِ سَقطتْ فَرْوَةُ وَجْهِه فيهِ.[٢]

---

١ - رواه البخاري- كتاب الأدب، باب: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، حديث رقم: ٦١٢٠

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١١٦٧٢، والترمذي- أبواب صفة جهنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، حديث رقم: ٢٧٦١، بسند ضعيف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً﴾.

أي: بِئسَ الشَّرابُ ذلك المهل. وَساءَتْ النار مُرتفقاً؛ أي: متكأً وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد، وقوله مرتفقًا تهكمًا بهم وإلا فليس في النار ارتفاق.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (٣١)﴾.

لما ذكر الله تعالى ما أعده للكافرين من الهوان ذكر هنا ما أعده للمؤمنين من الثواب، فقال: إن الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا، وعملوا بطاعة الله تعالى، ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾، جملة معترضة بين اسم إنَّ وخبرها، ومعناها: إنا لا نضيع ثواب المؤمنين الطائعين، المخلصين، ﴿أُولَئِكَ﴾، إشارة لمن تقدمت صفاتهم ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾، خبر إن، وعدن اسم لتلك الجنات، تجري من تحت قصورهم الأنهار.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾.

يحلون في تلك الجنة من أساور من ذهب، جمع إسورة وهي ما تلبس في المعصم، ومن الأولى للابتداء، والثَّانية بيانية، ويلبسون فيها ثيابًا خضرًا من سندس وهو الحرير الرقيق، وإستبرق وهو الحرير الغليظ.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾.

والأرائك: جمع أريكة، وهي السَّرير في الحجال، والاتِّكاء: الاضطجاع، وخصَّ الإتِّكاء بالذكر لأنَّه هيئة المتنعِّمين.

﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾.

أي: نعم الثواب ثواب الجنة وما فيها من النعيم، وحسنت الأرائك مرتفقًا، أي متكأً وذكر الثواب والارتفاق هنا لأهل الجنة في مقابلة حال الكفار في النار، ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً (٣٣) وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَراً (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً (٣٤) وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً (٣٦) قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَداً (٣٩) فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى مَا أَنْفَقَ فِيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَما كانَ مُنْتَصِراً (٤٣) هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَخَيْرٌ عُقْباً (٤٤)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ﴾، مسلم وكافر، جعلنا لأحد هذين الرجلين وهو الكافر بستانين من أعناب، ﴿وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ﴾، وأحطنا البستانين بنخلٍ، والحف الإحاطة بالشيء، وقال أبو عبيدة: أي: أطفناهما من جوانبهما، ومنه قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]، طائفين ومحيطين به.

﴿وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً﴾.

أي: وجعلنا وسط هذين البستانين زرعًا.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾.

أي: كلُّ واحدة من الجنتين ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾؛ أنبتت ثمرها كأوفر ما تثمر الأشجار والنخيل، ولم ينقص من ثمرها شيء.

﴿وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً﴾.

وأجرينا وسط الجنتين نهرًا يتدفق ماؤه لكثرته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَراً﴾.

وكان لصاحب الجنتين ثمر قد بدا صلاحه وحان وقت جنيه، فقال لصاحبه المؤمن: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَراً﴾، ترفعًا وتكبرًا عليه، وفخرًا بما عنده من المال والولد، قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال وعزة النفر.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾.

بكفره بالله تعالى وتكبره على خلق الله بما أعطاه الله من المال والولد.

﴿قالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً﴾.

قال ذلك اغترارًا بما رأى من كثرة الثمار، وجمال الجنتين، وكثرة الأولاد.

﴿وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً﴾.

يحكي الله تعالى عن صاحب الجنة حين دخل جنته ورأى ما فيها من النخيل والزروع والثمار، ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً (٣٥) وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً﴾؛ أي: كائنة، قال ذلك شكًّا في قدرة الله تعالى، واستبعادًا للساعة، وطغيانًا منه بسبب ما أعطاه الله من المال والولد؛ كما قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى﴾ [العلق: ٦، ٧]، ثم افترض فرضًا لا يعتقده فقال: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً﴾؛ أي: مرجعًا، قاس قياسًا فاسدًا أنَّ غناه في الدنيا يستلزم غناه في الآخرة، وأن ما أعطاه الله من المال والولد دليل حظوته عنده تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى﴾ [فصلت: ٥٠]، ولشدة اغتراره أكد كلامه باللام الموطئة للقسم، والنون؛ فقال: ﴿لَأَجِدَنَّ﴾، مع أنه يشك في أصل البعث.

﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾.

قال له صاحبه المؤمن منكرًا عليه وهو يخاطبه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾، وإنما قال: بالذي خلقك، ولم يقل: بالله؛ ليذكره بدليل الإيجاد من العدم، وقال: من تراب ثم من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

نطفة؛ ليذكره بأصل خلقته لعله يتواضع لله تعالى، فمن كان أصله من التراب لا يترفع ولا يتعالى، ومن كان أصله من نطفة ثم تعهده ربه بعنايته حتى سواه رجلًا مكتمل الخلقة معتدل القامة، فأجدر به أن يطأطئ رأسه لمولاه لا أن يزهو بنفسه.

﴿لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

ثم قال له معلنًا توحيد لله تعالى وخضوعه له: ﴿لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، أصله لكن أنا، ثم أقر بعبوديته لله تعالى فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، وقال الكسائي فيه تقديم وتأخير مجازه: لكن الله هو ربي.

ثم تبرأ من الشرك فقال: ﴿وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللَّهِ﴾.

قال له صاحبه المؤمن: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾؛ أي: وهلا حين دخلت بستانك ﴿قُلْتَ مَا شاءَ اللَّهُ﴾؛ أي: هذا ما شاء الله وهذا رزقه الذي أنعم به علي، ﴿لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللَّهِ﴾، وما قدرتَ عليه إلا بحول الله وقوته.

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَداً (٣٩) فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾.

أي: إن كنت ترى أني أنا أقل منك مالًا وولد، فعسى ربي أن يغنيني فيعطيني خيرًا من جنتك التي ترفعت عليَّ بها، ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ﴾، ويرسل عليها عذابًا من السماء، حجارة أو بردًا أو صواعق، وأصل الحسبان: المرامي التي يرمى بها.

قال ابن عباس: الحسبان: العذاب.

﴿فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾.

أي: فتصبح جرداء لا نبات فيها ولا تستقر عليها قدم، قال ابن عباس: أرضًا لا نبات فيها.

﴿أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً﴾.

أو يصبح ماؤها وقد غار في الأرض غورًا بعيدًا لا تناله الأيدي ولا الدلاء، والغور: مصدر وضع موضع الاسم للمبالغة في ذهابه في الأرض، فمهما حاولت استخراجه فلن تستطيع.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾.

وأحاط العذاب بثمر جنته، وأرسل الله عليها عذابًا قلع أشجارها وأحرق زروعها.

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾.

فأصبح يضرب كفًّا بكفٍّ حسرةً على ضياع ما أنفقه فيها من الأموال.

قال ابن عباس: يضرب يديه واحدة على الأخرى ندامة.

﴿وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها﴾.

أي: سقطت دعائمها التي تعمد الكروم على الأرض، وسقط الكروم فوقها.

﴿وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

علم أنه إنما أصابه ما أصابه بشركه بالله تعالى، فتمنى أنَّه كان مُوحِّدًا غير مشركٍ، حين لا ينفع التَّمني.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

لم ينفع النَّفر الذين افتخر بهم حين قال لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَراً﴾.

﴿وَما كانَ مُنْتَصِراً﴾.

أي: لم يقدر أن يدفع البلاء الذي نزل به بنفسه، وما كان له أعوان ينصرونه.

﴿هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾.

قرأ حمزة والكسائي ﴿الْوِلايَةُ﴾، بكسر الواو يعني السلطان، وقرأ الآخرون ﴿الْوَلايَةُ﴾، بفتح الواو من: الموالاة والنصر، ومعنى قراءة الكسر: هنالك أي: عند ذلك، والمراد يوم القيامة، الملك والسلطان والقهر والغلبة لله وحده.

ومعنى قراءة الفتح: عندئذٍ تكون الموالاةُ للّه، يوالي أولياءه وينصرهم على أعدائه.

قرأ أبو عمرو والكسائي: ﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾. رفعًا صفةٌ للولاية، وقرأ الباقون: ﴿لِلَّهِ الْحَقِّ﴾. خفضًا صفةٌ للّه عز وجل؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾.[1]

﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً﴾.

أي: هو تعالى أفضل ثوابًا لمن آمَن به والتجأ إليه. وأفضل عاقبةً لمن رجاه وعَمِل بطاعته.

١ - سورة الأنعام: الآية/ ٦٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين مثل الحياة الدنيا، التي يتفاخرون بها، في سرعة تَقَضِّيها وإدبارها بعد إقبالها واغترار النَّاس بها؛ ليعتبروا وليعلموا أنها ليس باقية لهم، ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾، كالمطر النازل من السحاب، فاختلط بذلك الماء نبات الأرض مدة يسيرة من الزمن، فاخضر وأينع وأزهر، ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾؛ فلما جف ذلك المطر يبس وتكسر وتفتت، والهَشْم: الكسر، ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾، تَرْفعه وتُفْرقه وتطيِّره وترميه في الهواء.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾.

وكان الله على كل شيء قادرًا حيث أنشأ النبات ولم يكن، ثم أفناه، وكان هذه التي يقال لها تامة.

وتكرر هذا المثل في كتاب الله تعالى كما في سورة يونس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ الآية [يونس: ٢٤]، ليتقرر في أذهان الناس هوان الدنيا على الله تعالى، وسرعة زوالها، حتى لا يركن إليها العباد، ولا يجعلوها أكبر همهم ومبلغ علمهم.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

هذا بيان لما كانوا يفتخرون به من زينة الحياة الدنيا، كما قال صاحب الجنتين لصاحبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَراً﴾، ترفعًا وتكبرًا عليه، وقوله: ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بيان أن ذلك مما يتزين به في هذه الحياة الدنيا، التي بيَّنَّا لكم سرعة تَقَضِّيها، وعدم بقائها.

قال أبو السعود: وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه، كما في الآية المحكية آنفًا، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾، وغير ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير ذلك، وعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات؛ فإنه زينة وممد لكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت وحين،

وأما البنون فزينتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ مبلغ الأبوة؛ ولأن المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع؛ ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم؛ ولأنه أقدم منهم في الوجود؛ ولأنه زينة بدونهم من غير عكس؛ فإن من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال.[1]

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.

قيل هي: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ، خُذُوا جُنَّتَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ عَدُوٍّ حَضَرَ قَالَ: «لَا وَلَكِنْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسْتَقْدِمَاتٍ وَمُجَنِّبَاتٍ، وهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ». رواه النسائي والحاكم والطبراني في الكبير بسند صحيح

وقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وغيرهما: هي: الصلوات الخمس.

وقيل: يدخل فيها كل أعمال الخير.

---

١ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ٢٢٥)

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (٤٧) وَعُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً (٤٨)﴾.

يقول الله تعالى واذكر يوم نسير الجبال، كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبالُ فَكانَتْ سَراباً﴾ [النبأ: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٣]، وتسيير الجبال: نقلها من مكان إلى مكان.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً﴾.

وترى الأرض بادية ظاهرةً ليس عليها ما يسترُها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧]، أي: سطحًا مستويًا لا عوج فيه ولا وادي ولا جَبَل، ولا شجرٍ.

﴿وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾.

أي: وجمعناهم، فلم نترك منهم أحدًا، لا صغيرًا ولا كبيرًا؛ كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، والحشرُ: السَّوق من جهاتٍ مختلفة إلى مكانٍ واحدٍ.

﴿وَعُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا﴾.

يقول الله تعالى وعرض الخلائق بين يدي الله تعالى صفًا واحدًا، لا يحجب بعضهم بعضًا؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿صفًا﴾ صفوفًا؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧]، يعني: أطفالًا.

﴿لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

في الكلام حذف اختصار تقديره: ثم يقال لمنكري البعث والنشور على رءوس الأشهاد على سبيل التقريع والتوبيخ: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، أي: "حفاةً عراةً غُرْلاً"؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي

الله عنهما قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا».[1]

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾.

﴿بَلْ﴾، للإضراب الانتقالي ومعناه: الانتقال من كلام إلى كلام وليس بمعنى الإبطال؛ أي بل زعمتم في الدّنيا أن لن نجعل لكم أجلًا للبعث والحساب والجزاء.

---

١ – رواه البخاري– كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر، حديث رقم: ٦٥٢٥، ومسلم– كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث رقم: ٢٨٦٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (٤٩)﴾.

يقول الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ﴾؛ الكتاب اسم جنس، والمراد: كل كتب الأعمال، وهي صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم.

﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا﴾.

الخطاب هنا لغير معين، والإشفاق: الخوف من وقوع المكروه؛ أي: فترى العصاة المجرمين خائفين مما في كتب أعمالهم من الأعمال القبيحة، والأفعال الشنيعة، ﴿وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا﴾، يدعون على أنفسهم بالويل لإحاطة أسباب الهلاك بهم.

﴿مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصاها﴾.

أي: يقولون أي شيء لهذا الكتاب؟ لا يترك عملا دقيقًا ولا جليلًا، ولا معصية صغيرةً ولا كبيرةً، إلا حفظها وأثبتها، يقولون ذلك تعجبًا من إحاطة الكتاب بكل أعمالهم حتى الصغائر.

﴿وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾.

أي: ووجدوا كل عمل عملوه من خيرٍ وشرٍ حاضرًا؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾، بأن يكتب عليه ما لم يفعل.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً (٥١)﴾.

يقول الله تعالى: واذكر يا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، وتقدم الكلام عن أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم، وأن أمر الله تعالى شمله تبعًا للملائكة، وليس هو الملائكة لا حقيقة ولا معنى، وهذه الآية دليل ذلك، ومما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧]، ودل على ذلك ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ».[١]

والعجب ممن يزعم أن إبليس من الملائكة مع تلك الأدلة، ومع قول الله تعالى عن الملائكة: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وأما الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤] فاستثناء منقطع، وقد بينا ذلك في سورة البقرة بحمد الله.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.

أي: فخرج عن طاعة ربه، وأصل الفسق الخروج؛ يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾.

يقول الله تعالى مذكرًا بني آدم بعداوة إبليس وذريته لأبيهم آدم عليه السلام وذريته من بعده: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي﴾؛ أي: أتجعلونه وذريته أولياء لكم تطيعونهم وتحبونهم من دوني، ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، وهم لكم أعداء.

والسؤال هنا للإنكار والتوبيخ.

---

١ – رواه مسلم– كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة، حديث رقم: ٢٩٩٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾.

بئس البدل من الله تعالى إبليس وذريته لأولئك المشركين.

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

يقول الله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾، ولا اعتضدت بهم في تدبير أمر الكون، والضمير في قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾، يعود على إبليس وذريته الذين اتخذهم المشركون أولياء من دون الله، فهم أحقر وأذل من أن يكون له نصيب من العبودية، كما أنهم ليس لهم نصيب من الخلق، ولا تدبير أمر الكون، ﴿وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾، وما أشهدت بعضهم خلق بعض، فأستعين بهم.

وقيل: الضمير عائد إلى الكفار المذكورين في قوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾؛ لأنه أقرب مذكور والراجح الأول.

﴿وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾

أي: وما كنت متخذهم أعوانًا استعين بهم، ووضع الظاهر موضع المضمر ذمًّا لهم على إضلالهم العباد.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً (٥٢) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً (٥٣) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (٥٤)﴾.

يقول الله تعالى واذكر لهم يا محمد يوم يقول الله تعالى للمشركين: نادوا الذي زعمتم أنهم شركائي وعبدتُموهم دوني، لعلهم أن يجلبوا لكم نفعًا أو يدفعوا عنكم ضرًّا.

﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾.

ففعلوا واستغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾.

قال ابن عباس وقتادة والضحاك وابن زيد: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾؛ أي: مَهلِكًا.

وقال ابن الأعرابي: كل حاجز بين شيئين فهو موبق، وأصله الهلاك يقال: أوبقه فهو وابق أي أهلكه.

وقال مجاهد وابن جريج: ﴿مَوْبِقاً﴾، هو واد في جهنم.

وقال الحسن: ﴿مَوْبِقاً﴾؛ أي: عداوةً يوم القيامة؛ أي: يتلاعنون ويتبرأ بعضهم من بعضٍ.

ومما يدل على أن الموبِقَ: المهلِك، قولُ الله عز وجل: ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الشورى: ٣٤]؛ أي: يُهلِكهنَّ.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾

أي: وعايَن المشركون النارَ يومَ القيامة ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾؛ أي: تيقنوا أنهم داخلوها، ويطلق الظن ويراد به اليقين.

﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً﴾

ولم يجدوا عن النَّارِ التي رأَوا مفرًا ومَعدِلًا يَعدِلون عنها إليه؛ لإحاطتها بهم من كل جانب.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

اللام هنا هي الموطئة للقسم وتقدير الكلام: أقسم لقد بينا في هذا القرآن للناس، أتم البيان وأكمله وضربنا فيه من كل مثلٍ؛ ليتذكروا ويتعظوا ويعتبروا، فضربنا فيه من الأمثال، مَثَل البعثِ والنشور بابتداء الخلق، وإحياء الأرض بعد موتها، ومثل الحياة الدنيا بالنبات الأخضر اليانع نزل عليه المطر من السماء فنما وأينع، ثم يبس فأصبح هشيما تذروه الرياح.

﴿وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾.

ومع البيان وضرب الأمثال وإقامة الحجج والبراهين، يجادل المشركون بالباطل أشدَّ الجدال ليدحضوا الحق؛ كما قال تعالى: ﴿وَجادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ﴾.[١]

١ – سورة غافر: الآية/ ٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلاً (٥٥) وَما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آياتِي وَما أُنْذِرُوا هُزُواً (٥٦)﴾.

لفظ الناس هنا عام يراد به الخصوص، يقولُ الله تعالى: وما منَع هؤلاء المشركين الإيمانَ باللهِ حين جاءهم القرآن المشتمل على الهدى الذي يدعوهم إلى الإسلام وفيه براهين ساطعات ودلائل قاطعات على صدق رسولهم وصحَّةَ نبوته، والاستغفارَ مما وقعوا فيه من الشِركِ، إلَّا أن تأتيهم سُنَّتُنا في الأممِ الغابرة الذين كذبوا رسُلَها، فاستأصل الله شأفتهم وتركهم أثرًا بعد عين، فمنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أرسلت عليهم الريح، ومنهم من أغرقهم الله؛ كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ [فاطر: ٤٣]؛ أي: هل ينتظرون إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بالأمم المكذبة قبلهم، وأضاف السُّنَّة إليهم لأنها سنَّة الله فيهم.

﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلاً﴾.

قرأ الكوفيون، وأبو جعفر: ﴿قُبُلاً﴾، بضم القاف والباء، جمع قبيل؛ أي: أصنافًا، وقرأ الباقون: ﴿قِبَلاً﴾، بكسر القاف وفتح الباء، أي: يستقبلهم العذاب في الآخرة عاينًا.

﴿وَما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾.

مبشرين بالثَّواب لمن آمن بالله ورسله وأطاع الله ورسله، ومنذرين بالعذاب لمن كفر بالله وكذب رسله.

﴿وَيُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

يخبر الله تعالى عن مماحلة الكفار ومعارضتهم الحق بجدال لا يريدون منه إلا إبطال الحق وإزالته يصرفوا الناس عنه من قولهم: دَحَضتْ رجله؛ أي: زَلقتْ وزلَّتْ؛ ومن جدالهم بالباطل ما أخبر الله تعالى عنهم أنهم: ﴿قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]، فلا غاية لهم في الجدال إلا جعل الحق باطلًا والباطل حقًا.

﴿وَاتَّخَذُوا آياتِي وَما أُنْذِرُوا هُزُواً﴾.

أي: واتخذوا القرآن، وما أنذروا به من العذاب موضع سخرية واستهزاء.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً (٥٩)﴾.

يقول الله تعالى: وأي عباد الله أظلم ممن وُعِظَ بآيات الله المنزلة في القرآن فلم يتعظ، وذُكِّرَ بها فلم يتذكر، بل أعرض عنها، ونسي ما اقترفت يداه من الآثام، وما سلف منه من الذنوب، وما كان عليه من الشرك وعبادة غير الله تعالى! وهو سؤال الغرض منه الإنكار، ومعناه: لا أحد أظلم ممن هذا شأنه.

﴿إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً﴾.

يقول تعالى: إنا جعلنا على قلوبهم، أغلفة تغطيها، وتحجبها، وتمنعهم أن يفقهوه، فلا يدخل إلى قلوبهم إيمان ولا يخرج منها كفر، والأكنة: جمع كنان، وهو الغطاء، لأنه يُكِنُّ الشيء، أي يحجبه، وجعلنا في آذانهم ثقلًا عن سماع الحق.

﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾.

وإن تدعهم يا محمد إلى الهدى فلا يكون منهم اهداء أبدًا.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ﴾.

وربك يا محمد الغفور ذو الرحمة الواسعة لو يؤاخذ بما اقترفوا من الشرك والآثام لعجل لهم العقاب في الدنيا، ومن رحمته تعالى بهم ومغفرته لهم، ومن رحمته ترك معاجلة أهل مكة بالعذاب مع فرط عدواتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾.

بل لهم موعد يوفيهم فيه جزاءهم وهو يوم القيامة، وقيل: يوم بدر لن يجدوا من دونه ملجأً يلجئون إليه.

﴿وَتِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾.

إشارة إلى القرى الغابرة كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم أهلكناهم لما طغوا وبغوا وكفروا بالله تعالى وكذبوا رسلهم، وجعلنا لوقت هلاكهم أجلًا مقدرًا وموعدًا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون.

وفيه تعريض بأهل مكة، وتهديد لهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم إذا أقاموا على كفرهم، وتكذيبهم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (٦٠) فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً (٦١) فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذا نَصَباً (٦٢) قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (٦٣) قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً (٦٤)﴾.

يقول الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: واذكُرْ يا محمدُ إذ قال موسى بنُ عمرانَ لفتاه يُوشَعَ بنِ نُونٍ وكان يخدمه ويتبعه ويأخذ منه العلم: ﴿لا أَبْرَحُ﴾. أي: لا أزالُ أسيرُ ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾؛ أي: حتى أبلغ هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين، ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾؛ أي: ولو أني أسير حقبًا من الزمان لتحقيق تلك الغاية، الحُقُب ثمانون سنة، وقيل غير ذلك.

وموسى المذكور هنا هو ابن عمران كليم الله ورسوله إلى بني إسرائيل، وأحد أولي العزم من الرسل؛ روى البخاري عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قَالَ: «قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ» حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ: أَنَا فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ بَلَى لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ لِي بِهِ قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ وَرُبَّمَا قَالَ: فَهُوَ ثَمَّهْ وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَرَقَدَ مُوسَى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾، فَأَمْسَكَ اللهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ فَقَالَ: هَكَذَا مِثْلَ الطَّاقِ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ ﴿قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ قَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾، فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلَهُمَا عَجَبًا قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾، رَجَعَا يَقُصَّانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ فَسَلَّمَ مُوسَى

فَرَدَّ عَلَيْهِ فَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ قَالَ أَنَا مُوسَى قَالَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ نَعَمْ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا﴾ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ قَالَ هَلْ أَتَّبِعُكَ قَالَ: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِمْرًا﴾ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا قَالَ فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى مَا صَنَعْتَ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾، مَائِلًا أَوْمَأَ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَشَارَ سُفْيَانُ كَأَنَّهُ يَمْسَحُ شَيْئًا إِلَى فَوْقُ فَلَمْ أَسْمَعْ سُفْيَانَ يَذْكُرُ مَائِلًا إِلَّا مَرَّةً قَالَ قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُضَيِّفُونَا عَمَدْتَ إِلَى حَائِطِهِمْ ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا».[١]

---

١ – رواه البخاري– كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله، حديث رقم: ١٢٢، ومسلم– كتاب الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام، حديث رقم: ٢٣٨٠

﴿فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾.

يقولُ الله تعالى: فلما بلَغ موسى وفتاه مجمعَ البحرينِ نسيا حوتهما وكانا قد تَزَوَّداه لسفرِهما، وأُضيف النسيانُ إليهما، وإنما كان الحوت مع يوشعَ وهو الذي نَسِيه، من باب التغليب؛ كما قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، والرسل من الإنس دون الجن؛ وكقولهِ تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١]، وإنما هما أب وأم، وقيل لهما أبوان تغليبًا.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾.

أي: اتخذ طريقًا له من البر إلى البحر؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: جَعل سبيله في البحر كالسرب؛ أي: النفقِ الذي يُدخل فيه فيُسلك منه إلى موضع.

وفي الحديث: «فَأَمْسَكَ اللهُ عَنِ الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ».[١]

﴿فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً﴾.

أي: فلما تجاوزا ذلك الموضعَ الذي سلكه الحوت في الماء قال موسى لفتاه ﴿آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَباً﴾؛ أي: تعبًا، وفي الحديث: «وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ».[٢]

﴿قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾.

لما قال له موسى آتنا غداءنا تذكر يوشع ما رآه من اضطراب الحوت وخروجه من المكتل وسقوطه في البحر، فقال لموسى: أتذكر حين أوينا إلى الصخرة لنستريح فإن الحوت قد اضطرب في المكتل فخرج منه، فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سربًا، وأمسك الله عن الحوت جِريةَ الماء، فصار عليه مثل الطاق.

---

١ – تقدم تخريجه

٢ – تقدم تخريجه

﴿وما أَنْسانِيهُ إِلاّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾.

أي: وما أنسَاني أن أذكُرَ لك أمرَ الحوتِ إلا الشيطان، من باب نسبة الشر إلى الشيطان نسبة تسبب لا نسبة إيجاد؛ كما في قول نبي الله أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطانُ بِنُصْبٍ وَعَذابٍ﴾ [ص: ٤١]، ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾، كان بالنسبة للحوت سربًا وبالنسبة لهما عجبًا.

﴿قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً﴾.

قال موسى ذلك الذي كنا نريد لأنه العلامة التي تدل على الخضر، ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا﴾، فعادا راجعين من الطريق الذي جاءا منه، يقصان آثارهما، والقصص اتباع الأثر، ومنه قوله: ﴿وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، أي: اتَّبِعي أثره.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً (٦٥) قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٦) قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٨) قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (٦٩)﴾.

يقول الله تعالى فوجَد موسى وفتاه عنَد الصخرةِ حين رجَعا إليها ﴿عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾، هو الخضر مسجىً بثوب، وأضافه تعالى إليه إضافة تشريفٍ واختصاصٍ، ﴿آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾، اختصه الله تعالى برحمة من عنده هي النبوة، وتطلق الرحمة في كتاب الله ويراد بها النبوة قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَآتانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ [هود: ٢٨]، تعالى على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَآتانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، ومما يدل على أن المراد بالرحمة النبوة قوله بعد أن خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.

﴿وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.

أي: وعلمناه عِلمًا لَدُنِّيّ من عِلْمنا لم نعلِّمه غيرَه، خصصناه به.

﴿قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾.

فلما رآه موسى سَلَّمَ عليه فَرَدَّ عَلَيْهِ وَقَالَ وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ! فقَالَ: أَنَا مُوسَى. قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا﴾ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ اللهُ لَا تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَكَهُ اللهُ لَا أَعْلَمُهُ. فقال له موسى متواضعًا، ومتلطفًا في السؤال: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾، أي: علمًا ذا رُشد، وهو إصابة الخير، وقد جمع سؤاله جملة من آداب طلب العلم وهي أنه بدأ بالتلطف والاستئذان، ووصف نفسه بالاتِّباع، ثم مدحه بالعلم، وأظهر الرغبة فيما عنده من العلم.

﴿قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

الصبر حبس النفس على المكاره، قال له الخضر: إنك لن تستطيع معي صبرًا بأي بوجه من الوجوه، وأكد كلامه بتأكيدين: (إنَّ)، و(لن) النافية.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾.

وكيف تصبر على أمورٍ ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك، وفي الكلام بيان عذر موسى بأنه سيبادر إلى إنكار ما سيراه من أمور ظواهرها منكرة، وبواطنها مجهولة.

﴿قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً﴾.

قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا معكَ، غيرَ منكرٍ عليك، ولا أعضي لك أمرًا تأمرني به.

وعلق الوعد بالمشيئة صونًا للوعد عن الخُلف.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (٧٠) فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (٧١) قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٢) قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (٧٣)﴾.

قال الخضر لموسى فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء أصنعه وإن كنت تنكره حتى أبين لك شأنه، فقد أخبرتك أن قد أعمل أعمالًا لا يدركها علمه.

﴿فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾.

فانطلق موسى والخضر وفتى موسى، وإنما اقتصر الكلام على ذكر موسى والخضر لأن الفتى كان تابعًا لموسى، فلما أبحرت السفينة أخذ الخضر الفأس فقلع لوحًا من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسدّ الخرق بثيابه ويقول أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها، وفي حديث أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ كَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ جَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ قَالَ لَهُ الْخَضِرُ يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ بِمِنْقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ إِذْ أَخَذَ الْفَأْسَ فَنَزَعَ لَوْحًا قَالَ فَلَمْ يَفْجَأْ مُوسَى إِلَّا وَقَدْ قَلَعَ لَوْحًا بِالْقَدُّومِ فَقَالَ لَهُ مُوسَى مَا صَنَعْتَ قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾؛ أي: أتيت شيئًا عظيمًا، يقال: أمر الأمر: إذا عظم؛ ومنه قول أبي سفيان: «لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ».[1]

أي: عظم شأنه. واللام في لتغرق لام العاقبة؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وهم لم يلتقطوه لذلك بل كان عاقبة أمرهم أن صار كذلك.

---

١ - رواه البخاري- باب كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم: ٧، ومسلم- كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم: ١٧٧٣

﴿قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

قال له ذلك تذكيرًا لما قاله من قبلُ، قال أُبَيُّ بْنُ كعب، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «فكانَتِ الأُولى مِنْ مُوسَى نِسْيَاناً».

﴿قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ﴾.

أي: قال لا تؤاخذني بنسياني يعني: وصيّتَه بأن لا يسألَه عن حكمة ما صدر عنه من الأفعال الخفيةِ الأسبابِ قبلَ بيانه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: بما تركتُ من شرطِكَ.

﴿وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾.

أي: لا تُعسِّر عليَّ، يقال: رَهِقه الشيء؛ أي: غشيَه وأدركه، أرهقته عسرا إذا كلفته ذلك.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (٧٤) قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٥) قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (٧٦)﴾.

فانطلق موسى والخضر وفي الحديث «فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ مَرُّوا بِغُلَامٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا». فقتله الخضر، فقال له موسى منكرًا عليه: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾، أي: طاهرة من الذنوب، وذلك لأنه لم يبلغ الحلم ولم يجر عليه القلم.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو ورويس عن يعقوب: ﴿زَاكِيَةً﴾، وقرأ الباقون: ﴿زَكِيَّةً﴾، قال الكسائي والفراء: معناهما واحد مثل: القاسية والقسية، وقال أبو عمرو بن العلاء: "الزاكية": التي لم تذنب قط و"الزكية": التي أذنبت ثم تابت.

قال ابن عباس، ومجاهد: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾. لم يبلغ الحلم.

وعن ابنِ عباسٍ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾. قال: فالزكيةُ التائبةُ.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾.

أي: بغيرِ قِصاصٍ، فلم تَقتُل نفسًا لتُقتَلَ بها.

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾.

أي: شيئًا فظيعًا منكرًا، لا يُعرف فِي شرع، واختلف المفسرون أيُّهما أبلغ ﴿إِمْرًا﴾ أو ﴿نُكْرًا﴾، فقيل: قتل الغلام كان أنكر من خرق السفينة؛ لأن خرق السفينة يمكن تداركه بالإصلاح، وهذا لا سبيل إلى تداركه. قال قتادة: النُّكر أشد من الإمر.

وقيل: قتل الغلام قتلُ واحدٍ وخرق السفية إهلاكُ جماعة ف ﴿إِمْرًا﴾ أبلغ.

قال ابن عطيَّة: وعندي أنَّ ﴿إِمْرًا﴾، أفظع وأهول من حيث هو متوقَّعٌ عظيمٌ، و﴿نُكْرًا﴾، أبينُ في الفساد؛ لأن مكروهه قد وقع.

﴿قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

أي: قال الخضر لموسى مذكرًا له بالشرط الذي اشترطه عليه: ألم أقل لك: إنك لن تطيق معي صبرًا على ما ترى من أفعالي التي لم تحط بها خُبْرًا؟

وإنما زاد هنا: (لك) في قوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾، لتكرار المخالفة، وشدة الإنكار في الثانية.

﴿قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾.

قال موسى للخضر إن سألك عن شيء بعد هذه المرَّة سؤال اعتراض وإنكار، ﴿فَلا تُصاحِبْنِي﴾، أي: لا تجعلني صاحبك، ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾؛ أي: قد بلغتَ من قِبَلي مبلغًا تُعذَر به في ترك مصاحبتي، حيث خالفتُك ثلاث مرات.

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ فَقَصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا».[1]

---

١ - تقدم تخريجه

المحتويات

مُقَدِّمَة.. ٣

تفسير سورة الإسراء ٤

بين يدي السورة: ٥

بين يدي السورة: ٥

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)﴾. ٩

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَآتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْناهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً (٣)﴾. ١٣

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (٤) فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً (٥) ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً (٧) عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيراً (٨)﴾....... ١٥

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً (٩) وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً (١٠) وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولاً (١٠)﴾. ١٩

قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلاً (١٢) وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً (١٣) اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً (١٤)﴾. ٢١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (١٧)﴾.
.... ٢٤

مناسبة الآية لما قبلها: ٢٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (١٩) كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً (٢٠) انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١)﴾. ٢٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً (٢٢) وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣)﴾. ٢٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (٢٥) وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً (٢٧)﴾. ٣٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً (٢٨)﴾..... ٣٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (٣٠)﴾. ٣٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً (٣١) وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً (٣٢)﴾. ٣٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً (٣٣)﴾ ٣٧

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلاّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً (٣٤)﴾ ٣٩

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٣٥) وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً (٣٦)﴾ ٤٠

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً (٣٨) ذلِكَ مِمّا أَوْحى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ فَتُلْقى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً (٣٩)﴾ ٤٢

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَما يَزِيدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً (٤١) قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَما يَقُولُونَ إِذاً لابْتَغَوْا إِلى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢) سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً (٤٣)﴾ ٤٤

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً (٤٤)﴾ ٤٦

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً (٤٥) وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِذا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلى أَدْبارِهِمْ نُفُوراً (٤٦)﴾ ٤٨

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوى إِذْ يَقُولُ الظّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مَسْحُوراً (٤٧) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (٤٨) وَقالُوا أَإِذا كُنّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٤٩)﴾ ٤٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيداً (٥٠) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتى هُوَ قُلْ عَسى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً (٥٢)﴾ ٥٢
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (٥٤)﴾. ٥٤
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (٥٥) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً (٥٦) أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخافُونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحْذُوراً (٥٧) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوها عَذاباً شَدِيداً كانَ ذلِكَ فِي الْكِتابِ مَسْطُوراً (٥٨)﴾. ٥٦
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وَما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً (٥٩)﴾. ٥٩
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً (٦٠)﴾.......... ٦٠
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً (٦١) قالَ أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢)﴾. ٦٢
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلاَّ غُرُوراً (٦٤) إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وَكَفى بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ

فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كانَ بِكُمْ رَحِيماً (٦٦) وَإِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً (٦٧)﴾. ٦٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِما كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعاً (٦٩)﴾. ٦٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً﴾. الآية/ ٧٠ .... ٦٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً (٧١) وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمى وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢)﴾. ٧٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧٤) إِذاً لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيراً (٧٥)﴾. ٧٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنا تَحْوِيلاً (٧٧) أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً (٧٨)﴾.......... ٧٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً (٧٩)﴾...... ٧٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطاناً نَصِيراً (٨٠) وَقُلْ جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً (٨١)﴾.......... ٧٧

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَساراً (٨٢) وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَنَأى بِجانِبِهِ وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً (٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلاً (٨٤)﴾.......... ٧٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْئَلُونكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً (٨٥) وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلاً (٨٦) إِلاّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كانَ عَلَيْكَ كَبِيراً (٨٧)﴾. ٨٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاّ كُفُوراً (٨٩) وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً (٩٠)﴾........ ٨٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاّ بَشَراً رَسُولاً (٩٣)﴾. ٨٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى إِلاّ أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً (٩٤) قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً (٩٥) قُلْ كَفى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً (٩٦)﴾........ ٨٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمًّا مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً (٩٧) ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا وَقالُوا أَإِذا كُنَّا عِظاماً وَرُفاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٩٨)﴾........ ٨٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاّ كُفُوراً (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً (١٠٠)﴾........ ٨٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ إِذْ جاءَهُمْ فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً (١٠١) قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلاّ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ بَصائِرَ وَإِنِّي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً (١٠٤)﴾. ٨٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلاّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً (١٠٥) وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً (١٠٩)﴾. ٩٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بَيْنَ ذلِكَ سَبِيلاً (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً (١١١)﴾............................... ٩٥

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.. ٩٧

تفسير سورة الكهف.. ٩٩

فضل سورة الكهف: ٩٩

سبب نزول السورة: ٩٩

بين يدي السورة: ١٠٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً (١) قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (٢) ماكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاّ كَذِباً (٥)﴾.. ١٠٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَجاعِلُونَ مَا عَلَيْها صَعِيداً جُرُزاً (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً

(١٠) فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً (١١) ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً (١٢)﴾. ١٠٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً (١٣) وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً (١٤) هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً (١٥)﴾. ١٠٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَما يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقاً (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَإِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً (١٧)﴾. ١١٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (١٨) وَكَذلِكَ بَعَثْناهُمْ لِيَتَساءَلُوا بَيْنَهُمْ قالَ قائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قالُوا لَبِثْنا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكى طَعاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً (١٩)﴾. . ١١٢

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً (٢٠) وَكَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيها إِذْ يَتَنازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْياناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً (٢١)﴾........ ١١٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِراءً ظاهِراً وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً (٢٢)﴾. ١١٥

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً (٢٣) إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذا نَسِيتَ وَقُلْ عَسى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هذا رَشَداً (٢٤)﴾ ١١٦
سبب نزول الآية: ١١٦
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً (٢٦)﴾.. ١١٨
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمْرُهُ فُرُطاً (٢٨)﴾........ ١١٩
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَساءَتْ مُرْتَفَقاً (٢٩)﴾. ١٢١
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً (٣٠) أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الْأَرائِكِ نِعْمَ الثَّوابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (٣١)﴾........ ١٢٣
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنا لِأَحَدِهِما جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنابٍ وَحَفَفْناهُما بِنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعاً (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً (٣٣) وَكانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقالَ لِصاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَراً (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ قالَ ما أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هذِهِ أَبَداً (٣٤) وما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْها مُنْقَلَباً (٣٦) قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَداً (٣٩) فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْباناً مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلى ما أَنْفَقَ فِيها وَهِيَ

خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها وَيَقُولُ يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَما كانَ مُنْتَصِراً (٤٣) هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَخَيْرٌ عُقْباً (٤٤)﴾ ١٢٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً (٤٥) الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَالْباقِياتُ الصَّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً (٤٦)﴾ ١٢٩

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً وَحَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً (٤٧) وَعُرِضُوا عَلى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونا كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً (٤٨)﴾..... ١٣١

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنا مالِ هذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصاها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً (٤٩)﴾........ ١٣٣

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً (٥١)﴾. ١٣٤

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً (٥٢) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُواقِعُوها وَلَمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفاً (٥٣) وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (٥٤)﴾. ١٣٦

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ قُبُلاً (٥٥) وَما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آياتِي وَما أُنْذِرُوا هُزُواً (٥٦)﴾. ١٣٨

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْها وَنَسِيَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ إِنَّا جَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ

لَوْ يُؤاخِذُهُمْ بِما كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرى أَهْلَكْناهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً (٥٩)﴾. ١٣٩
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً (٦٠) فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً (٦١) فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذا نَصَباً (٦٢) قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً (٦٣) قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً (٦٤)﴾. ١٤١
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً (٦٥) قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٦) قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلى ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٨) قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ صابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً (٦٩)﴾. ١٤٤
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً (٧٠) فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً (٧١) قالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٢) قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً (٧٣)﴾. ١٤٦
قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً (٧٤) قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً (٧٥) قالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً (٧٦)﴾. ١٤٨